المسيح

في حياته المقدَّسة

وآلامه وموته وقيامته وصعوده وكهنوته السماوي

من أجلنا

المسيح

في حياته المقدَّسة
وآلامه وموته وقيامته وصعوده وكهنوته السماوي
من أجلنا

بحسب تعليم القديسَيْن أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير

دار مجلة مرقس

كتاب:حياة المسيح المقدَّسة وآلامه وموته وقيامته وصعوده وكهنوته السماوي من أجلنا
بحسب تعليم القديسَيْن أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير
ترجمة وإعداد: رهبان دير القديس أنبا مقار
الناشر: دار مجلة مرقس
الطبعة الأُولى: ١٩٩٤
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون
ص.ب: ٢٧٨٠ - القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٤/٤١٦٣
رقم الإيداع الدولي: ISBN 977-5545-04-8

المحتويات

مقدمة

اللاهوت الخلاصي:

لقد اصطبغ علم اللاهوت عند آباء الكنيسة الأولين، وعلى الأخص آباء الإسكندرية، بالاتجاه الخلاصي في دراسة اللاهوت، ومضمونه أن كل ما فعله المسيح إنما يختص بخلاصنا أولاً وأخيراً، وأن ليس لنا أن نبحث عن أي شيء في علم اللاهوت من أجل المعرفة النظرية المجردة بل لنستفيد به من أجل خلاصنا.

فإن كان القديس أثناسيوس قد تحمس للدفاع عن مساواة الابن للآب في الجوهر، وإن كان القديس كيرلس قد انبرى للدفاع عن الاتحاد الأقنومي أي وحدة كيان المسيح البشري الإلهي، فإن سر حماسهما في الدفاع عن ذلك هو رؤيتهما الواضحة للعلاقة الصميمية بين هذه الحقائق اللاهوتية وخلاصنا نحن.

وهكذا نراهما دائماً في كلامهما عن سر الثالوث أو عن تجسُّد المسيح وميلاده ومعموديته وصومه وآلامه وموته وقيامته وصعوده وكهنوته السماوي، نراهما يعودان باستمرار إلى ربط هذه الحقائق بخلاصنا نحن وبالمنفعة الروحية التي عادت علينا من كل ما فعله المسيح من أجلنا.

الباب الأول

المسيح

في حياته المقدَّسة وآلامه وموته من أجلنا

الفصل الأول

سرُّ تجسُّد الكلمة

يتميز القديس كيرلس الكبير بأنه أكثر مَنْ أدرك وأعلن للعالم القِيَم الروحية الفائقة المذخرة في سر «الاتحاد الأقنومي» أي الاتحاد بين الكلمة والجسد الإنساني. فالآية الأساسية عنده التي يرى فيها طرفي هذا الاتحاد هي «**الكلمة صار جسداً**» (يو ١: ١٤). وكما رأيناه يبني عليها تعليمه بخصوص اتحادنا نحن بالله[1]، سنراه الآن يتخذها أساساً أيضاً لتعليمه بخصوص سر الفداء. ففي تفسيره لإنجيل القديس يوحنا يقول بخصوص هذه الآية إننا نرى في شقيها (أي الجسد والكلمة):

[الجرح والدواء معاً، المريض والطبيب،
ما قد سقط في الموت والذي أقامه من جديد إلى الحياة،
ما قد وقع تحت الفساد والذي طرد عنه الفساد،
ما قد ظهر كأنه أُمسك في الموت والذي هو أقوى من الموت،
ما قد حُرم من الحياة والذي هو معطي الحياة!][2]

إذاً، فاتحاد اللوغس (الكلمة) بالجسد هو في حد ذاته في نظر القديس كيرلس النقيض المباشر لسقوط آدم وفقدانه صفات عدم

---

(١) انظر كتاب «التجسُّد الإلهي عند القديس كيرلس الكبير» صفحة ٢٨.
(٢) تفسير يوحنا ١: ١٤ PG 73:160

الموت (الخلود) وعدم الفساد (الحياة الأبدية):

[فاللوغس الصائر جسداً هو في حد ذاته زوال وانعدام الأشياء التي أصابت طبيعة الإنسان بسبب اللعنة والعقوبة.](٣)

فهذا الاتحاد بين اللوغس والجسد هو العلاج الأمثل لسقطة الإنسان، هو «الدواء» وهو «الطبيب» واستعادة الحياة والخلود:

[كيف كان يمكن للإنسان الذي صار تحت سلطان الموت أن يستعيد الخلود؟ كان لابد من أن يدخل جسده الميت في شركة قوة الله المحيية. أمَّا قوة الله المحيية فهي اللوغس وحيد الآب.](٤)

ويقول القديس أثناسيوس في هذا المعنى:

[لهذا نال الجسد منه قوة لأنه هو القوة وهو الحياة.](٥)

إن العلماء الآن يفرقون في دراستهم للآباء بين غاية النسك Asceticism وغاية الخبرة التصوفية (أي الاتحاد بالله) Mysticism. ولكننا لا نجد عند القديس كيرلس أثراً لهذه التفرقة، بل نجد عنده أن غاية اللاهوت النسكي (أي التخلُّص من الخطية والجهاد ضد أهواء الجسد) مبنية أصلاً على أساس الشركة بين الجسد واللوغس التي تحققت لنا أولاً في شخص المسيح والتي نجني ثمارها حينما نلتصق به.

إذاً فالاتحاد بالمسيح هو الهدف والغاية التي من أجلها يعمل ويجاهد الإنسان التائب، لأن المسيح لم يستحِ أن يأخذ على عاتقه مسؤولية

---

(٣) المسيح واحد، PG 75:1268

(٤) تفسير لو٢٢: ١٩، PG 72:908,909

(٥) تجسد الكلمة ٢١: ٥

كل ما هو فاسد وضعيف فينا:

[فقد أخذ على عاتقه جميع ضعفات البشرية.](6)

وهذا الاتحاد بين اللوغس والجسد – الذي أعطانا إمكانية أن نتحد نحن أيضاً باللوغس في شخص المسيح فنجد فيه الشفاء والخلاص – هذا الاتحاد بين اللوغس والجسد كان في الواقع قصد الله الأزلي لعلاج سقطة الإنسان الذي حدده منذ أن سقط آدم(7)، بل والمعروف عنده في الواقع منذ الأزل(8).

ولم يكن شيء يُلزمه بأن يحققه إلا فقط محبته اللانهائية(9).

[عظيم حقاً وفائق للطبيعة هو حب الآب الذي من أجل حياة العالم أعطى ابنه الخاص الذي هو منه حقاً.](10)

[أي عقل وأي سمع يقدر أن يحمل لجّة محبتكَ للبشر التي لا توصف يا الله.]

(ثيئوتوكية الخميس – القطعة الثالثة)

فالتجسُّد عمل صادر أصلاً من محبة الله وتحننه علينا:

[فمن أجل تحننه ومحبته للبشر أخذ شكلنا وأخضع نفسه للألم ولإهانات اليهود الواقعة عليه.](11)

---

(6) الدفاع عن الحرم العاشر ضد ثيئودوريت، PG 76:441

(7) تفسير إشعياء ٥:٣ PG 70:382، وانظر أيضاً تفسير يونان وتفسير حجي

(8) جلافير على التكوين PG 69:28، الكنز في الثالوث PG 75:292,296

(9) ضد يوليانوس الجاحد PG 76:925، تفسير لوقا ١٩:٢٢ PG 72,908

(10) تفسير يوحنا ١٧:٣

(11) المسيح واحد PG 75:1352

[بسبب محبته للبشر أهبط نفسه في الذي لنا.][12]

ولم يكن ممكناً أن يُخلِّص الطبيعة التي وقعت تحت الفساد **من الخارج**، أي بدون أن يدخل هو فيها ويلبسها. ففي ذلك يقول القديس أثناسيوس:

[حسناً قال النبي «وأوجاعنا **تحمَّلها**» (إش٥٣: ٤) ولم يقل فقط إنه «شفاها» لئلا يُظن أنه شفاها وهو **خارج الجسد** كما كان يفعل دائماً قبل تأنسه، فيبقى الناس بعد ذلك معرَّضين للموت مرة ثانية.][13]

أي أنه لم يُجرِ فقط شفاءً خارجياً، بل شفاءً داخلياً في عمق الطبيعة البشرية نفسها، وذلك بأن ارتدى هو نفسه هذه الطبيعة.

فإن الشيطان كان قد تحصَّن داخل الطبيعة البشرية، فكان لابد من أن يدخل إليه المخلِّص «في الجسد» الذي تحصن فيه لكي يقاتله عنا، بحسب قول المخلص: «حينما يحفظ القوي (الشيطان) داره متسلحاً تكون أمواله في أمان، ولكن متى جاء من هو أقوى منه (أي ابن الإنسان) فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه، ويوزع غنائمه» (لو١١: ٢٢). والقديس كيرلس يقول في هذا المعنى بخصوص تجربة المسيح على الجبل:

[كان ينبغي أن يقاوم الشيطان الذي كان غالباً لنا في الأول

---

(١٢) المسيح واحد PG 75:1266

«تحنن الرب بمحبته للبشر» (ثيئوتوكية الاثنين القطعة الثانية)

«لأنه غُلب من تحننه...» (ثيئوتوكية الاثنين القطعة الخامسة)

(١٣) ضد أريوس ٣: ٣١ (N.P.N.F. 4:411)

وأن يتجرَّد لمقاتلته عنا، لأنه لأجل هذا الفعل(١٤)، قد أهبط نفسه إلى الإخلاء بإرادته حتى يجعلنا شركاء لامتلائه الخاص.](١٥)

إذاً فدخول اللوغس إلى داخل الطبيعة البشرية كان أمراً ضرورياً لخلاص الإنسان:

[فلم تكن هناك وسيلة أخرى لزعزعة سلطان الموت إلا فقط بتجسُّد الوحيد.](١٦)

[فقد كان هدف الكلمة المتجسِّد أن يُظهر بوضوح أنه ارتدى جسداً بالحقيقة وصار إنساناً. فإنه **لم يكن ممكناً أن يخلِّص الجنس البشري بوسيلة أخرى.**](١٧)

[لقد كان تجسُّد الكلمة وتأنسه أمراً لابد منه **لخلاص** الذين على الأرض. فلو لم يكن قد وُلد مثلنا بحسب الجسد، لما كان قد اشترك في الذي لنا، وبالتالي لما كان قد حرر طبيعة الإنسان من الوصمة التي أصابتها في آدم، وما كان قد طرد الفساد من أجسادنا، وما كانت قوة اللعنة الآتية إلى المرأة الأولى قد أُبطلت.](١٨)

فلو لم يكن قد اشترك في الذي لنا (مثل الألم والموت) لما أمكنه أن

---

(١٤) «لأجل هذا أُظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس» (١يو٣:٨).

(١٥) عن الإيمان القويم إلى الملكات PG 76, 1381.

(١٦) المسيح واحد PG 75:1352

(١٧) الكنز في الثالوث ٢٤

(١٨) ضد نسطور ١:١

يبطله عنا. فلو لم يكن اللوغس صار جسداً لما أمكنه «أن يأخذ على عاتقه جميع ضعفات البشرية». لذلك فقد اقتنى الجسد **كأداة** ὄργανον يستطيع بها أن يحس بضعفاتنا وآلامنا بل وأن يذوق بها موتنا أيضاً:

[فقد اقتنى الجسد كأداة ὄργανον من أجل الأفعال الجسدية، ليحتمل به الضعفات الطبيعية البريئة من كل لوم. وهكذا أيضاً اقتنى نفساً بشرية كأداة ليحتمل بها الآلام البشرية البريئة.](19)

[إنه لكونه إلهاً بطبعه يعتبر خارج نطاق الألم، ولكنه سُرَّ أن يتألم ليُخلِّص الذين تحت الفساد... لذلك اقتنى جسداً قابلاً لأن يذوق الموت.](20)

[إن الكلمة صار جسداً... خصيصاً لكي يتمكن أن يذوق الموت بهذا الجسد.](21)

[فإن لم يكن اللوغس قد صار جسداً، فكيف كان يمكنه أن يتألم مجرباً فيعين المجربين (عب٢:١٨)، وكيف كان يمكنه أن يبذل ظهره عنّا للضاربين وخديه للّاطمين (إش٥٠:٦)؟ وإن لم يكن قد ظهر في الجسد فكيف كان يمكن أن تخترق المسامير يديه ورجليه؟ بل وأي جنب – قل لي – أي جنب طعنه جنود

(١٩) عن الإيمان القويم إلى ثيئودوسيوس ٢١ PG 76:1164B

(٢٠) المسيح واحد PG 75:1356

(٢١) تفسير رومية ٣:٥ PG 74:781D

بيلاطس ليظهروا للمشهد الدم الكريم سائلاً مع الماء؟][22]

فلو لم يكن اللوغس قد صار جسداً لما أمكنه أن يحمل عنا آلامنا وموتنا «وكل ضعفات البشرية» فيخلصنا منها:

[فإن لم يكن قد افتقر وهو غني، مهبطاً نفسه بسبب محبته للبشر في الذي لنا، لما كنّا نحن قد اغتنينا بالخيرات التي له، بل نحن مازلنا في فقرنا ممسوكين من اللعنة والموت والخطية.][23]

فلكي يخلصنا المخلص من هذه الشرور «اللعنة والموت والخطية» التي أصابت «الذي لنا»، أي طبيعتنا، كان لابد من أن يهبط نفسه **تدبيرياً** في الذي لنا، وذلك بحسب المبدأ المشهور عند الآباء أن **ما لا يُؤخذ بواسطة المخلّص لا يمكن أن يُشفى ويُخلّص**. وهذا المبدأ كان أول من قننه هو القديس غريغوريوس النزينزي بقوله:

[ما لا يؤخذ لا يمكن أن يُشفى، فإن ما صار متحداً با لله هذا فقط يُخلّص.][24]

ويقول القديس كيرلس الكبير في نفس هذا المعنى:

[لقد وحَّد كلمة الله بنفسه كل طبيعة الناس لكي يخلّص الإنسان بكامله، فإن ما لا يؤخذ لا يُخَلّص.][25]

أي إن الوسيلة الوحيدة أمام المسيح ليشفي أعضاءنا «التي مرضت بشهوة الملذات» هي أن يأخذها لنفسه ويوحدها بلاهوته فيبطل منها

---

(٢٢) في تجسد الوحيد PG 75:1197

(٢٣) المسيح واحد PG 75:1268

(٢٤) رسالة إلى كلدونيوس PG 37:181

(٢٥) تفسير يوحنا ١٢:٢٧ PG 74:98G

في نفسه هو أولاً «ما أصابها من جراء ناموس الخطية الصارم» ثم «يفيض منه إلينا قوة ما أكمله في نفسه».

لذلك يركز القديس كيرلس في تأكيده أن جسد المسيح قد «أخذه منا»:

[نحن جنسه على الرغم من كونه إلهاً بطبعه ذلك لأنه قد أخذ منّا هذا الجسد عينه.][26]

أي أن جسد المسيح كان من جنسنا تماماً، وقد تكوَّن من اللحم والدم البشريين المأخوذين من القديسة العذراء. فالمسيح لم يكوِّن جسده مباشرة من تراب الأرض[27] ولم يحدره معه من السماء[28]، بل أخذه منّا بالحقيقة بواسطة القديسة العذراء التي نابت عنّا في تسليمه كل ما يخص طبيعتنا:

[إن جسده لم يأتِ من السماء بل هو من العذراء بحسب الكتب.][29]

وفي ذلك تقول ثيئوتوكية الخميس (القطعة السادسة): «كل عجنة البشرية أعطتها العذراء بالكمال لله الخالق وكلمة الآب».

ويقول القديس أثناسيوس:

[إن ما وُلد من مريم بحسب الكتب كان جسداً بشرياً بحسب الطبيعة. فقد كان جسد الرب حقيقياً إذ أنه كان مساوياً

---

(٢٦) تفسير يوحنا ١٤:١٠ PG 73:1045G

(٢٧) في تجسد الوحيد PG 75:1197

(٢٨) رسالة ٣٩ إلى يوحنا الأنطاكي PG 77:180A,B، تفسير مزمور ٤٩ PG 69:1076A، في الثالوث ٥ PG 75:940

(٢٩) في تجسد الوحيد PG 75:1244

لأجسادنا تماماً، لأن مريم كانت أختنا على قدر ما أننا جميعاً من آدم.](٣٠)

إذاً فهذا الجسد القدوس المأخوذ من العذراء أي منّا نحن، يمكننا أن ندعوه «جسدنا نحن»:

[حيث أنه لبس طبيعتنا، لذلك فإن جسد اللوغس يُدعى جسدنا نحن.](٣١)

وبالتالي يمكننا أن نعتبر أن لنا وجوداً سريًّا في هذا الجسد الذي لنا منذ ولادته من العذراء:

[بسبب اتحاده بالجسد كان يحمل الجميع في نفسه.](٣٢)

[نحن جميعاً كنا فيه بسبب ظهوره كإنسان.](٣٣)

لذلك فإن كل ما أجراه المسيح في جسده ينبغي أن يعتبر لكل جنس البشرية:

[كل الأفعال التي لناسوته نوجهها لتدبير تجسُّد الكلمة.](٣٤)

ويقول في ذلك القديس أثناسيوس:

[لأن كل ما كُتب فيما يختص بناسوت مخلصنا ينبغي أن يُعتبر لكل جنس البشرية، لأنه أخذ جسدنا وعرض في نفسه ضعف

---

(٣٠) رسالة ٥٩: ٧ N.P.N.F. IV, 573

(٣١) تفسير يوحنا ١٤: ٢٠ PG 74:280B

(٣٢) ضد نسطور ١: ١ PG 76:17A

(٣٣) تفسير يوحنا PG 74:432B، انظر أيضاً ضد نسطور ٣ PG 76:160B

(٣٤) عن الإيمان القويم.

البشرية.][٣٥]

[لقد كتب بطرس الطوباوي في رسالته هكذا: «إذ قد تألم المسيح من أجلنا في الجسد» (١بط ٤: ١). إذاً، فحينما يُقال إنه جاع وعطش وتعب ولم يعلم ونام وبكى وطلب وجاهد ووُلِدَ وطلب أن تعبر عنه الكأس وبالإجمال أنه عانى كل ما يختص بالجسد، ينبغي أن يُفهم ضمناً في كل حالة: إذ قد جاع المسيح وعطش «**من أجلنا في الجسد**»، وأنه لم يعلم ولطم وتعب «**من أجلنا في الجسد**»، وأيضاً أنه رُفع وأنه وُلد ونمى «في الجسد» وخاف واختبأ «في الجسد» وقال: «إن أمكن أن تعبر عني هذه الكأس» وأيضاً أنه ضُرب «**من أجلنا في الجسد**» وبالإجمال كل هذه الأمور صارت «**من أجلنا في الجسد**».][٣٦]

ومعنى قول القديس كيرلس «كل الأفعال التي لناسوته نوجهها لتدبير تجسُّد الكلمة»، أننا نعتبرها لخلاص الجنس البشري كله، الذي كان محمولاً سراً في هذا الناسوت المقدَّس.

لذلك فإن كل ما أجراه الرب في جسده الخاص أثناء حياته الأرضية هو مُضاف لحسابنا:

فحياته المقدسة؛ وأعماله[٣٧]؛ وأصوامه[٣٨]؛

---

(٣٥) الدفاع عن هروبه ١٣، N.P.N.F. 4:259

(٣٦) ضد أريوس ٣: ٣٤ N.P.N.F. IV, 412

(٣٧) تفسير لوقا ٤: ٣٥ و٩: ١ و١٠: ٢٢ PG 72:548,641,676

(٣٨) تفسير لوقا PG 72:527C

انظر أقوال القديس كيرلس عن صوم المسيح من أجلنا في كتاب «المسيح في صومه وصلاته من أجلنا»، إصدار دار مجلة مرقس.

وصلواتــه(٣٩)؛ ومشــاعره(٤٠)؛

ونصرته علـى العـدو(٤١)، وعلـى الخطيـة؛

وآلامـه الـتي بهـا أبطـل الألم (انظر الفصـل الثـاني) وأخـيراً موتـه المحيـي الـذي بـه أبطـل المـوت (انظر الفصـل الثـالث)، هـذا كلـه مُضـاف لحسـاب البشـرية كلهـا لأنــه قـد تمَّ «**في جســد اللوغــس الــذي يُدعــى جســدنا نحن**».

هــذه هــي النتيجــة المبدعــة لســر التجسُّــد الإلهــي أي لســر الاتحـــاد الأقنومي الفــائق الوصـف الـذي تم بـين طبيعـة اللوغـس الفائقـة وبـين جسـد بشـريتنا في المسيح «الـذي منـه تتدفـق نحونـا جميـع الخـيرات.»(٤٢)

---

(٣٩) الكنز في الثالوث PG 75:384s

تفسير مزمور ٢:٨ PG 69: 723B

وفي تفسيره لقول الرب «إلهي إلهي لماذا تركتني» يقول: [إنه قد جعل نفسه واحداً منا يتكلم **باسم الطبيعة البشرية كلها**] «المسيح واحد» PG 75:1325,1326

وفي تفسيره لقول الرب للسامرية: «أنتم تسجدون لما لسـتم تعلمـون وأمـا نحـن فنسـجد لمـا نعلم»، يقول: [إنه لا يقدم السجود (لله أبيه) بصفته كلمة الله بل بصفته **قـد صـار مثلنـا. فهـو** يقوم بهذا الفعل أيضاً (السجود) كما يليق بإنسان **من أجل تدبير الجسـد** (أي مـن أجلنـا نحـن وكنائب عن البشرية كلها)] تفسير يوحنا ٢٢:٤ PG 73:313A

(٤٠) تفسير رومية ٦:٦ PG 74:796CD

تفسير يوحنا ٢٧:١٢ PG 74:89A, 92D

(٤١) يقول القديس أثناسيوس:

[لأن ما قاله الـرب (للشيطان على جبـل التجربـة) **فعلـه مـن أجلنـا** حتـى إذا مـا سمعـت الشـياطين منـا كلمـات مماثلـة، **أُجبرت على الهـروب مــن قبــل الـرب** الـذي انتهرهـا بهـذه الكلمـات] (حيـاة أنطونيـوس ٣٧ N.P.N.F. 4:206)

وللقديس كيرلس أقوال في هذا المعنى عن تجربة المسيح في تفسير لوقا PG 72:527

(٤٢) تفسير يوحنا ٣٩:٧ PG 73:753

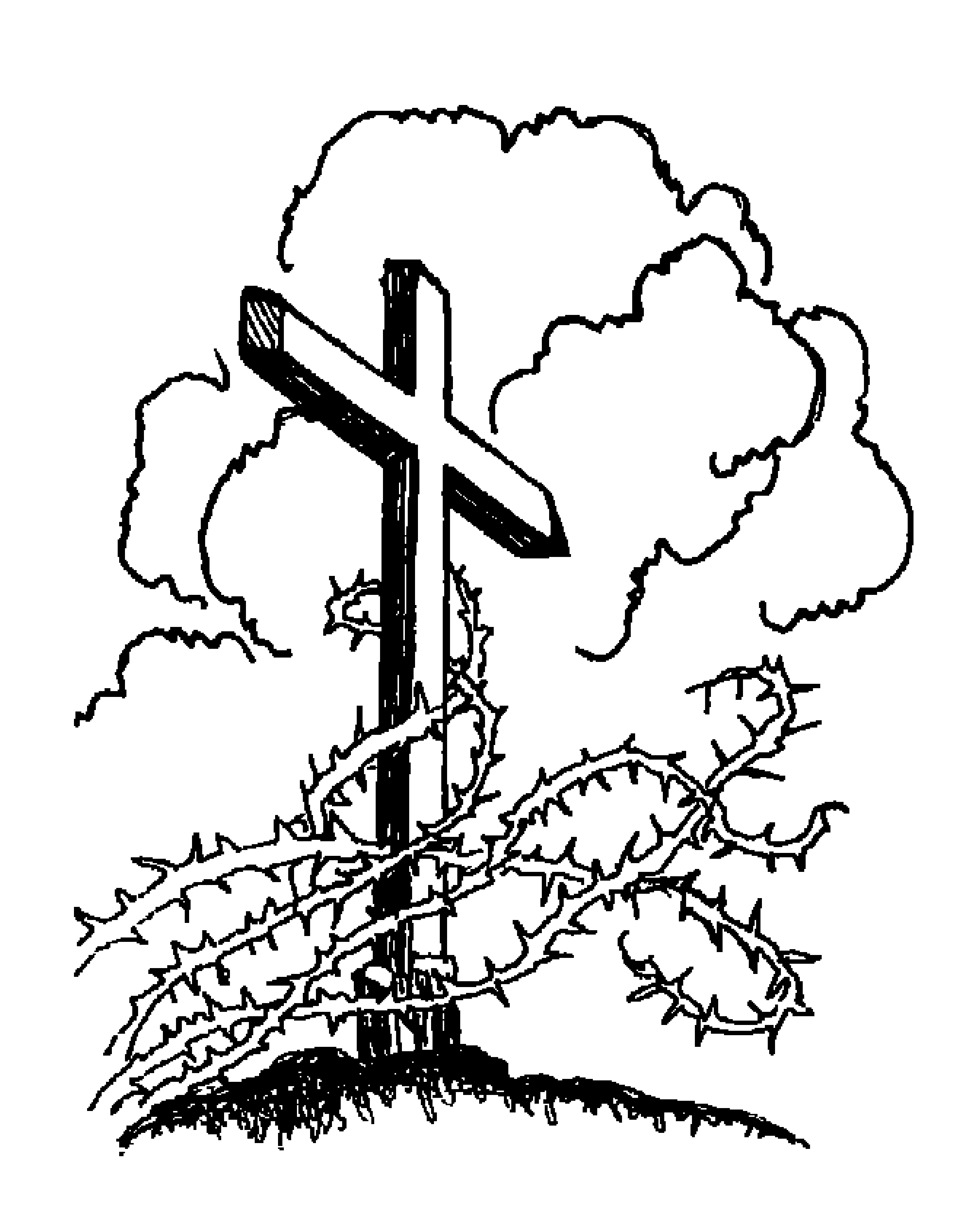
والآن سنقدِّم أقوال القديس كيرلس بخصوص أعمال المسيح الخلاصية من أجلنا، وقد بوبناها تحت ثلاثة عناوين:

أولاً – حياة المسيح المقدسة من أجلنا.

ثانياً – آلام المسيح من أجلنا.

ثالثاً – موت المسيح من أجلنا.

وسنرى في كل من هذه الموضوعات الثلاثة إلى أي مدى يربط القديس كيرلس باستمرار كل ما فعله المسيح من أجلنا في الجسد بسرِّ الاتحاد الفائق الوصف، لأن لنا في هذا الربط منتهى الخلاص!



الفصل الثاني

حياة المسيح المقدَّسة من أجلنا

يقول القديس كيرلس:

[لقد حمل «اللوغس» كل الطبيعة البشرية في نفسه ليحيا بها حياة مقدَّسة وبلا لوم، وذلك بكونه قد صار إنساناً وظهر في الشكل البشري.][1]

فالحياة المقدَّسة التي عاشها الرب في الجسد كانت من أجل «كل الطبيعة البشرية التي حملها في نفسه». وكثيراً ما يقرر القديس كيرلس هذه الحقيقة مستنداً في ذلك على قول الرب نفسه «**من أجلهم** أقدِّس أنا ذاتي.»[2] (يو١٧: ١٩)

ويقول القديس أثناسيوس أيضاً في هذا المعنى:

[هو نفسه الذي يقدِّس كل شيء، يقول للآب: «**من أجلهم** أقدِّس أنا ذاتي» ليس بمعنى أن اللوغس يمكن أن يزداد في القداسة؛ بل بمعنى **أنه هو نفسه يقدِّسنا نحن جميعاً في ذاته.**][3]

---

(١) تفسير الرسالة الثانية إلى كورنثوس PG 74:946D

(٢) كلما يفسر القديس كيرلس هذه الآية يركز على عبارة «**من أجلهم**»، انظر مثلاً: ضد نسطور ٣:٦ وتفسير يوحنا ١٧: ١٩ PG 74:548

(٣) ضد أريوس ١: ٤١ N.P.N.F. 4:330

فقد عاش الرب من أجلنا في الجسد حياة مقدَّسة حقاً بلا لوم متزهة عن كل خطية. فهو وحده استطاع أن يقول: «رئيس هذا العالم آت وليس له فيَّ شيء» (يو١٤: ٣٠)، كما قال أيضاً لليهود: «من منكم يبكتني على خطية»[٤] (يو٨: ٤٦)، وبذلك أعطى الرب طبيعتنا أن تحيا فيه حياة مقدَّسة بلا خطية فتنال من جديد "براءة لدى الله".

يقول القديس كيرلس:

[لقد ملكت الخطية علينا وصار – إبليس – أبو الخطايا ومخترعها يتعظَّم بفخر على كل الذين تحت السماء ويقودهم إلى مخالفة الوصايا الإلهية، ولكن في المسيح نرى طبيعة الإنسان كما في باكورة جديدة لجنسنا تنال من جديد براءة ودالة لدى الله، فقد قال صراحة: «رئيس هذا العالم آتٍ وليس له فيَّ شيء» (يو١٤: ٣٠).][٥]

والسبب في أن طبيعة الإنسان استطاعت في المسيح أن تحيا من جديد حياة مقدَّسة وبلا لوم هو أنه وحَّدها في نفسه بطبيعته الإلهية «الحرة تماماً من كل ميول الخطية»، فيقول القديس كيرلس:

[حيث أن الطبيعة الإلهية حرة تماماً من كل ميول الخطية لذلك فقد حملنا «اللوغس» في ذاته بواسطة جسده – لأننا جميعاً كنا فيه من حيث أنه صار إنساناً – وذلك لكي يُميت «في نفسه» «أعضاءنا التي على الأرض» (كو٣: ٥) التي هي شهوات الجسد

---

(٤) يستشهد القديس كيرلس بهذه الآية في كتابه ضد نسطور ٣: ٦ حيث يقول أيضاً: [فبواسطته استدَّ عنا فم الخطية بحسب قول المزمور (مز١٠٧: ٤٢)].

(٥) ضد نسطور ١: ١ PG 76:20

ويُبطل بذلك ناموس الخطية المتسلط على أعضائنا.](٦)

فلم يكن ممكناً أن تُشفى «أعضاؤنا التي على الأرض» إلاّ بالاتحاد باللوغس الحي المحيي:

[لم يكن ممكناً أن حدة الشهوات الطبيعية تكف عنّا إلاّ بأن يصير جسد مذلتنا جسداً خاصاً للوغس.](٧)

[كيف دينت الخطية في الجسد؟

لم يكن ممكناً أن تُدان الخطية بواسطة إنسان له طبيعة رازحة تحت الخطية مثلنا، ولكن الجسد الذي صار خاصاً بالذي «لم يعرف خطية» (٢كو٥:٢١) هذا استطاع وبحق أن ينقض سلطان الخطية. إذ أن هذا الجسد قد اغتنى في ذاته باللوغس المتحد به اتحاداً فائقاً لا يوصف، وصار بذلك مقدّساً ومحيياً ومملوءاً من قوة إلهية. وهكذا نحن أيضاً في المسيح – الذي صار لنا باكورة – نتغير ونصير أقوى من الفساد ومن الموت.](٨)

فبفعل «الاتحاد الفائق الذي لا يوصف» الذي تمَّ في المسيح بين اللوغس المحيي وجسد البشرية استطاع المسيح أن «ينقض سلطان الخطية» أي أن ينهي على العلاقة القديمة التي ربطت بين الجسد البشري والخطية منذ أن سقط آدم في المعصية.

وبنفس هذا المعنى يقول أيضاً:

---

(٦) تفسير يوحنا ١٦:٧ PG 74:432

(٧) ضد ديودور ١١:

.LFC (Library of Fathers of the Holy Cath. Church, Oxford), p326.

(٨) المسيح واحد PG 75:1269

[حيث أن الطبيعة البشرية كانت بسبب معصية آدم مصابة بالفساد، وكانت أفكارنا معذبة بشهوات الجسد وبالحركات (الغرائز) المغروسة فيه، كان يتحتم من أجل خلاصنا نحن الذين على الأرض أن يصير كلمة الله إنساناً، لكي يجعل الجسد البشري الذي أُخضع للفساد ومرض بشهوة الملذات خاصاً له، ولكونه هو الحياة والمحيي يُبطل الفساد الذي فيه ويزجر الحركات المغروسة فيه، أعني التي لشهوة الملذات، لأنه بهذا قد صارت الخطية في جسدنا مائتة.](٩)

فلم يكن ممكناً أن يشفي "الجسد البشري الذي أُخضع للفساد ومرض بشهوة الملذات" إلاّ بالاتحاد باللوغس "الحي والمحيي". وبنفس هذا المعنى يقول أيضاً:

[فقد سكن فينا اللوغس وجعل جسد البشرية خاصاً له حتى أن كل ما أصاب هذا الجسد من جراء ناموس الخطية الصارم، يبطله بواسطة نفسه. فقد أماته أولاً في جسده الخاص ثم أفاض علينا شركة هذه النعمة بسبب أننا منتسبون إليه بحسب طبيعة الجسد.](١٠)

وبعبارة "جسد البشرية" ينبغي أن نفهم الكيان البشري كله جسداً ونفساً(١١). فالقديس كيرلس يطبِّق على كل من الجسد والنفس البشرية نفس المبادىء الخلاصية:

---

(٩) الرسالة الأولى إلى سكسنسوس. PG 77:233.

(١٠) تفسير متى ١١:١٨ PG 72:401B

(١١) يقول القديس كيرلس في تفسيره لإنجيل يوحنا بخصوص الآية «والكلمة صار جسداً» أن كلمة "جسد" تعني في هذه الآية الكيان البشري كله جسداً ونفساً. فالوحي هنا يشير إلى الكل بواسطة الجزء كما يفعل في مواضع أخرى مثل يؤ ٢:٢٨ «على كل جسد أسكب روحي» تفسير يوحنا ١:١٤ PG 73:158

[فكمـا أن الجسـد لمَّـا صـار جسـداً خاصـاً للّوغـس الـذي يُحيـي الكل تغلَّـب على سلطان الموت والفساد، هكذا أيضاً أنا أرى أن النفس - البشرية - لمَّـا صـارت نفسـاً للّوغـس الـذي لم يعـرف خطية (٢كو ٥: ٢١) قد نالت استقراراً وثباتـاً في كـل صـلاح فقد صارت أقوى بلا قياس من الخطية التي كانت تعذبنا. فإن المسيح هو "**إنسان بدء**"، «الـذي لم يفعـل خطيـة ولا وُجـد في فمه مكر» (١بط ٢: ٢٢) ... فهو ينقل منذ الآن بالنعمـة لكـل الجنس البشري مشاركة عدم فساد جسده والاستقرار في القداسة المستمدة من لاهوته.][١٢]

إن منطق القديس كيرلس في هذا القول في منتهى الوضوح: فكما أن الجسد لمَّا صار جسداً خاصاً للّوغس «الذي يحيي الكل» قد «غلب الموت»، هكذا أيضاً النفس لمَّا صارت نفساً خاصة للّوغس «الـذي لم يعرف خطية» قد صارت "أقوى بلا قياس من الخطية".

وهكذا في المسيح اتحدت طبيعتنا التي أخطأت بطبيعة اللّوغس المحيية القدوسة البريئة من كل خطية فكانت النتيجة الحتمية أن تدان الخطية في طبيعتنا وأن يزول سلطانها عنَّا:

[لقد دينَ ناموس الخطية في أعضاء جسدنا لمَّا صار اللّوغس المولود من الله مشابهاً لنا.][١٣]

ويقول القديس أثناسيوس في هذا المعنى:

---

(١٢) في تجسُّد الوحيد P.G. 75:1213

(١٣) المسيح واحد .PG 75:1268

[لو لم يُظهِر عدم الخطية في الطبيعة التي أخطأت فكيف يمكن أن تُدان الخطية بالجسد.][14]

أي أنه لمّا أظهر قداسته الفائقة بصفته اللّوغس في الجسد **المشابه لنا** أي في «شبه جسد الخطية» (رو ٨:٣)، حينئذ اتحدت القداسة الكاملة الإلهية بالجسد البشري الضعيف فأنهت على الصلة القديمة التي كانت تربط هذا الجسد بالخطية منذ أن سقط آدم، وهكذا «دان الرب الخطية في الجسد».

على أنه ينبغي أن نلاحظ جيداً أن المسيح لم يشترك في الخطية، فهو لم يصر خاطئاً بل اتحد «بشبه جسد الخطية»:

[فإن اللّوغس صار جسداً ولكنه لم يصر جسداً خاطئاً بل «في شبه جسد الخطية» (رو ٨:٣) فقد صار مشابهاً لنا – في كل شيء – ما عدا فقط أنه لم يكن مثلنا تحت نير الخطية بل كان فوق كل معرفة للإثم وذلك لأنه كان هو بعينه في نفس الوقت إلهاً وإنساناً.][15]

وبهذه العبارة "لأنه كان هو بعينه في نفس الوقت إلهاً وإنساناً" يعود القديس كيرلس ويؤكد مرة أخرى أن كيان المسيح البشري الإلهي الواحد هو الذي مكّنه من أن «يدين الخطية في الجسد»، فبسبب كونه إنساناً كان مشابهاً لنا في كل شيء – أي «في شبه جسد الخطية» – وبسبب كونه هو بعينه في نفس الوقت إلهاً كان

---

(١٤) ضد أبوليناريوس ٦:٢ N.P.N.F. IV, 331n.2

(١٥) المسيح واحد PG 75:1305

قدوساً بلا شر "وفوق كل معرفة للإثم"، وهكذا استطاع أن يوحِّد في نفسه بين البراءة الكاملة الإلهية وبين الجسد البشري الذي لبسه، وبذلك «دان الخطية في الجسد» وصار "**إنسان بدء**"، أي بداية لجنس بشري جديد مخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق:

[لقد دان المسيح الخطية في جسده الخاص إذ صيَّرها عاجزة عن الحركة فيه، وبذلك فقد أعاد تشكيل الجسد البشري بحيث يتحرك تلقائياً لعمل ما يسر الله بدلاً من تنفيذ مشيئته الذاتية](١٦)

والآن يمكننا أن نلخص أفكار القديس كيرلس بخصوص حياة المسيح المقدَّسة الخالية من كل خطية التي عاشها في الجسد من أجلنا، نلخِّصها في العناصر التالية:

١- أن الاتحاد "الفائق الذي لا يوصف" الذي تمَّ في المسيح بين قداسة اللّوغس الفائقة "الذي هو فوق كل معرفة الإثم" وبين «شبه جسد الخطية» أي "جسد مذلتنا نحن" كانت نتيجته الحتمية أن «يبطل ناموس الخطية» من هذا الجسد. وهكذا «دان الرب الخطية في الجسد» إذ صيَّره «جسداً خاصاً» له. وهكذا انقطعت بحياة المسيح المقدَّسة الخالية من كل خطية، الصلة القديمة التي ربطت بين جسد الإنسان والخطية منذ سقطة آدم.

٢- إن ما أحرزه المسيح في جسده الخاص من قداسة فائقة وخلو تام من كل خطية، ينتقل منه إلينا **بالنعمة** "فهو ينقل من الآن بالنعمة

(١٦) تفسير يوحنا ١٤: ٢٠

لكل جنس البشرية مشاركة عدم فساد جسده والاستقرار في القداسة المستمدة من لاهوته"، فلأن الجسد الذي عاش به المسيح "حياة مقدَّسة بلا لوم" هو "جسدنا نحن". لذلك تكف عنّا "حدَّة الشهوات الطبيعية" وتموت «أعضاؤنا التي على الأرض» و "تصير الخطية التي فينا مائتة."

٣- إن المسيح صار بذلك "**إنسان بدء**" أي **باكورة** لجنس بشري جديد له صفات جديدة، "**يتحرَّك تلقائياً لعمل ما يُسِرّ الله بدلاً من تنفيذ مشيئته الذاتية**".

📖❖📖

فإن كانت هذه هي فاعلية الاتحاد الأقنومي بالنسبة **للحياة المقدَّسة الخالية من الخطية** التي عاشها الرب في الجسد من أجلنا، فكم تكون فاعليته أكثر كثيراً جداً بالنسبة لما أحرزه من أجلنا **بآلامه المخلصة وبموته المحيي؟**

وهذا هو ما سنراه في الجزئين التاليين، وسيظهر لنا فيهما بوضوح من أقوال القديس كيرلس مدى ارتباط كل من آلام المسيح المخلِّصة وموته المحيي بهذا الاتحاد الفائق الوصف.



الفصل الثالث

آلام المسيح من أجلنا

إن القديس كيرلس في معظم تعاليمه عن الخلاص لا يركز على ضرورة "استيفاء العدل الإلهي" بذبيحة المسيح بقدر ما يركز على ضرورة "**شفاء**" الطبيعة التي فسدت. وهو في ذلك يحذو حذو معظم آباء القرون الأُولى. فالخلاص عندهم هو أساساً عملية شفاء، (ويُلاحَظ أن الفعل σώζω أي يُخلِّص في اللغة اليونانية يفيد في نفس الوقت معنى الشفاء والخلاص – انظر مثلاً مر ٥:٢٣و٢٨و٣٤، ٦:٥٦ حيث جاء هذا الفعل بمعنى "يشفي").

ولكي يتم "**شفاء**" الطبيعة التي فسدت في أعماق كيانها كان لابد من أن يأتي المخلِّص في الجسد ويلبس هذه الطبيعة ويُدخلها إلى نفسه حتى يستطيع أن **يحمل**[1] في نفسه جميع أمراضها فيلاشيها بقوة اللاهوت الكائن فيه، وذلك بحسب المبدأ الآبائي القائل: **إن ما لا يأخذه المخلِّص لا يمكن أن يشفيه ويخلِّصه**. فكان لا بد من أن تتلامس أوجاعنا في جسد المسيح مع قوة لاهوته الشافية حتى يتم شفاؤنا وخلاصنا. هنا تظهر أهمية **الاتحاد الأقنومي** الذي يعتزُّ به

---

(١) انظر القول المذكور صفحة ٩ وهامش رقم ١٣ حيث يركز القديس أثناسيوس على ضرورة حمل المخلِّص لآلامنا وأوجاعنا بحسب النبوَّة القائلة: «أوجاعنا تحمَّلها.» (إش ٥٣:٤)

القديس كيرلس ويعتبره بحق محور الديانة كلها. فلأن هذا الذي تألم من أجلنا في الجسد كان هو بعينه اللوغس غير المتألم بطبعه الخاص، لذلك فقد تلامست فيه آلامنا وأمراضنا وضعفاتنا مع ألوهية اللوغس غير المتألم "الذي كان يبطل ضعفات الجسد"، وهكذا يكون هذا الاتحاد الفائق الذي تمَّ في المسيح بين اللوغس غير المتألم والجسد المتألم، هو الذي يعطي لآلامه الإلهية قوتها الشافية[٢] الفائقة. لذلك سنرى باستمرار القديس كيرلس **يركز على تأكيد لاهوت المسيح المتألم** الذي كان، وهو في وسط الألم، هو بعينه اللوغس الأزلي وحيد الآب غير المتألم بطبعه. فبالآلام الإلهية وحدها يتم خلاصنا وشفاؤنا لأن بها تجتمع في شخص المسيح الواحد آلامنا وضعفاتنا وأمراضنا مع ألوهية اللوغس غير المتألم بطبعه فتبطل حتماً كافة آلام البشرية وكل أمراضها بهذا التلامس مع اللاهوت غير المتألم!

ويعلِّق القديس كيرلس على هذا فيقول:

[أمَّا بخصوص اللوغس فمن الباطل أن يُقال إنه كان شريكاً في تقبُّل الإساءات لأن اللاهوت فوق الألم وليس مثلنا. ولكن من حيث أنه اتحد بجسد ذي نفس عاقلة فلمَّا كان هذا الجسد يتألم كان هو – اللوغس – في غير ألم ἀπαθῶς مُدركاً لما يقع على جسده من آلام. وكإله كان يُبطل ضعفات الجسد وذلك بأن يقتنيها لنفسه خاصة بصفتها قد وقعت على جسده الخاص،

---

(٢) "اقتل أوجاعنا **بآلامك الشافية المحيية**" (قطع صلاة الساعة السادسة).

وفي هذا الجزء نقدِّم أقوال القديس كيرلس بخصوص الآلام الشافية وفي الجزء التالي سنقدِّم أقواله بخصوص الموت المحيي.

وهكذا يُقال عنه إنه جاع وضعف وتألَّم من أجلنا.][3]

ويقول أيضاً:

[فكما أن الموت لم يكن ممكناً أن يَبْطُل إلاَّ بموته، هكذا أيضاً بالنسبة لكل واحدة من انفعالات (أو آلام πάθη) الجسد. لأنه لو لم يكن قد خاف "وتغلَّب على الخوف" لما كانت طبيعتنا قد انعتقت من الخوف (عب ٢:٥)، ولو لم يكن قد حزن - «نفسي حزينة جداً حتى الموت» (مت ٢٦:٣٨) - لما كانت قد تخلَّصت من الحزن، ولو لم يكن قد انزعج واضطرب - «الآن نفسي قد اضطربت» (يو ١٢:٢٧) - لما خرجت أبداً من دائرة هذه الانفعالات (أو الآلام πάθη). وهكذا بالنسبة لجميع الأشياء التي حدثت له بشريًّا يمكنك أن تطبق نفس المبدأ فتجد أن الانفعالات (أو الآلام πάθη) الجسدية كانت تتحرك في المسيح ولكن ليس لكي تكون سائدة كما يحدث فينا بل لكي إذا ما تحركت فيه تبطل بواسطة قدرة اللوغس الحال في الجسد فتتغير بذلك الطبيعة (البشرية) إلى ما هو أفضل.][4]

ونفس هذا المعنى نجده عند القديس أثناسيوس:

[فالعجيب حقاً أنه هو الذي كان يتألم ولا يتألم في نفس الوقت. فقد كان يتألم لأن جسده الخاص كان يتألم وكان هو نفسه كائناً فيه أثناء تألمه. وكان لا يتألم لأن اللوغس بكونه إلهاً غير متألم بطبعه. فإذ كان هو غير الجسدي متجسِّداً في الجسد

---

(٣) تعاليم في تجسُّد الوحيد ٨. PG 75:1377B

(٤) الكنز في الثالوث ٢٤. PG 75:397

المتألم، كان الجسد يحوي في ذاته اللوغس غير المتألم الذي كان يبطل الضعف اللاصق بالجسد. وقد فعل ذلك لكي إذ يقبل ما هو لخاصتنا في نفسه (أي آلامنا وضعفاتنا) ويرفعه ذبيحة عنّا، يبطله بذلك عنا ويعطينا عوضاً عنه ما هو لخاصته (أي انعدام الآلام).] (٥)

وهكذا يظهر بوضوح كيف أن الاتحاد الفائق الذي تمَّ في المسيح بين ناسوته المتألم بكل آلامنا البشرية وبين ألوهية اللوغس غير المتألم بطبعه "الذي كان يبطل ضعفات الجسد وذلك بأن يقتنيها لنفسه خاصة"، كيف أن هذا الاتحاد الفائق هو في الحقيقة محور الخلاص وينبوع "الشفاء" للطبيعة البشرية كلها حتى "تتغيَّر إلى ما هو أفضل!".

وللقديس كيرلس أقوال كثيرة متناثرة في كافة كتاباته تخص هذا الموضوع الأساسي لخلاصنا. وقد بوبناها تحت العناوين التالية:

(أ) ضرورة اشتراك المسيح في آلامنا حتى يخلِّصنا منها.

(ب) المضادة: غير المتألم تألَّم!

(ج) النتيجة الخلاصية لهذه المضادة وهي شفاء آلام البشرية وأوجاعها وضعفاتها بآلام المسيح.

ولكن قبل ان نقدِّم هذه الأقوال لا بد من أن نذكر باختصار المعاني المتنوعة التي تحملها كلمة الآلام πάθη في اللغة اليونانية، لأنه يعسر استيعاب فكر القديس كيرلس في هذا الموضوع بدون معرفة المعاني الكثيرة المتنوعة التي يقصدها من هذه الكلمة الواحدة.

---

(٥) رسالة ٥٩: ٦ N.P.N.F. IV, 572

معاني كلمة "الآلام" في اللغة اليونانية:

إن مفهوم هذه الكلمة (πάθος في المفرد، و πάθη في الجمع) واسع جداً، ويمكن أن نعتبر مبدئياً أن لها ثلاثة معانٍ أساسية:

المعنى الأول:

وهو ما يمكن أن يترجم بالأتعاب أو الإساءات ومنها ما يقع على الجسد مثل التعب والجَلد، واللطم، والتسمير على الصليب، ومنها أيضاً ما يقع على النفس مثل الإهانة والتعيير واحتمال التفل والشتم والخيانة ... إلخ.

والمعنى الثاني:

وهو ما يمكن أن يترجم بالانفعالات الطبيعية، ومنها ما هو جسدي مثل الجوع والنوم والبكاء، ويسميها القديس كيرلس أحياناً "بآلام الجسد الطبيعية التي لا لوم فيها"، ومنها ما هو نفسي مثل الحزن والاضطراب النفسي أمام الموت والخوف، وهذه يسميها القديس كيرلس "الآلام النفسية البشرية البريئة". وأحياناً يجمل هذه الانفعالات بنوعيها أي الجسدي والنفسي منها بعبارة "ضعفات الجسد" ويقول إنها "**كانت تتحرَّك في المسيح ولكن ليس لكي تكون سائدة كما يحدث فينا** بل لكي إذا ما تحركت فيه تبطل بواسطة قدرة اللوغس الحال في الجسد". فاللوغس كان "يبطل ضعفات الجسد" أي يبطل ضعفه أمام هذه الانفعالات وخضوعه لها.

ويلاحظ أن الانفعالات بهذا المعنى (أي حينما لا تسود على الإنسان) بريئة تماماً من الخطية ولذلك فقد اقتناها المخلِّص مع بقائه بريئاً تماماً من كل شبه شر. ولذلك أيضاً يدعوها القديس كيرلس

"الضعفات الطبيعية البريئة من كل لوم".

والمعنى الثالث:

وهو ما يترجم أحياناً بالأوجاع[٦] أو الأهواء[٧] والشهوات، والمقصود منها هو نفس النوع السابق أي الانفعالات الطبيعية للجسد والنفس ولكن حينما تسود على الإنسان فتجعله يتحرك بما تمليه عليه. و"الآلام" بهذا المعنى أي الشهوات تكون بداية الخطية ولذلك لا يمكن أن تُنسب للمسيح لأنه قدوس وبريء من كل خطية[٨]. ولكنه أبطلها عنا باحتماله "الآلام" (بالمعنى الأول والثاني) في الجسد من أجلنا بحسب المبدأ الذي قرره بطرس الرسول: «فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلّحوا أنتم أيضاً بهذه النية **فإن مَنْ تألم في الجسد كُفَّ عن الخطية**» (١بط ٤: ١)، أي عن شهوة الخطية. وهكذا يستطيع القديس كيرلس أن يعتبر بصفة عامة أن المسيح أبطل عنّا جميع أنواع "الآلام" باحتماله الآلام من أجلنا.

---

(٦) "اقتل أوجاعنا بآلامك الشافية المحيية" (من قطع صلوات الساعة السادسة) وحيث أن كلمة "أوجاعنا" جاءت في الأصل القبطي ⲚⲈⲚⲠⲀⲐⲞⲤ أي حرفياً "آلامنا" فتكون الترجمة الحرفية لهذه العبارة هي "اقتل آلامنا بآلامك الشافية المحيية". وبنفس هذا المعنى الثالث جاءت كلمة ⲠⲀⲐⲞⲤ في ذكصولوجية باكر "ولا تغطينا ظلمة الآلام ⲠⲀⲐⲞⲤ".

(٧) انظر مثلاً رو ١: ٢٦ حيث تُرجمت كلمة πάθος إلى "**أهواء الهوان**" وأيضاً ١تس ٤: ٥ حيث تُرجمت إلى هوى **شهوة ردية**.

(٨) فهو لم يصر خاطئاً ولكنه جاء «في شبه جسد الخطية». أي في جسد تتحرك فيه كل الانفعالات الطبيعية التي تتحرك في أجسادنا ولكن بدون أن تكون سائدة عليه.

أقوال القديس كيرلس
الخاصة بآلام المسيح من أجلنا

أ ـ ضرورة اشتراك المسيح في "آلامنا حتى يخلّصنا منها":

سمعنا القديس كيرلس يقول:

[فكما أن الموت لم يكن ممكناً أن يبطل إلاَّ بموته، هكذا أيضاً بالنسبة لكل واحدة من انفعالات (أو آلام πάθη) الجسد. لأنه لو لم يكن قد **خاف** (وتغلّب على الخوف) لما كانت طبيعتنا قد انعتقت من الخوف (عب ٢:١٥)، ولو لم يكن قد **حزن** لما كانت قد تخلّصت من الحزن، ولو لم يكن قد **انزعج واضطرب** لما خرجت أبداً من دائرة هذه الانفعالات].

ولأهمية هذا المبدأ يكرره القديس كيرلس بنفس الألفاظ تقريباً في موضع آخر من كتاباته:

[لم يكن ممكناً أن يبطل الموت إلاَّ فقط بموت المخلِّص. وهكذا أيضاً بالنسبة لكل واحدة من انفعالات (أو آلام πάθη) الجسد ... فإن ما لا يؤخذ لا يمكن أن يُخَلَّص.][٩]

وفي عدة مواضع أخرى يعبِّر أيضاً عن نفس هذا المبدأ بصيغ

---

(٩) تفسير يوحنا ١٢:٢٧ PG 74:89,92

متنوعة[١٠] "**ما لا يؤخـــذ لا يمكـــن أن يُخلَّـص**". لقد كان هذا المبدأ الآبائي أقوى رد على بدعة أبوليناريوس الذي أنكر وجود نفس بشرية في المسيح. فكما لزم أن يقتني المخلِّص لنفسه جسداً حتى يخلِّص الجسد هكذا كان لا بد من أن يقتني أيضاً نفساً بشرية حتى يشفي أمراض نفوسنا:

[فكما أنه اقتنى لذاته جميع خواص الجسد هكذا أيضاً بالنسبة لخواص النفس – البشرية – لأنه كان ينبغي هكذا أن يظهر مشابهاً لنا في كل شيء سواء كان في الجسد أم في النفس لأننا نحن مكونون من جسد ومن نفس. فكما أنه سمح **تدبيرياً** لجسده أن يتألم παθεῖν – بالآلام – المناسبة له هكذا أيضاً سمح أن تتألم نفسه أيضاً بما يناسبها، وفي كلا الأمرين كان يتمِّم عمل الإخلاء.][١١]

ويقول أيضاً:

[فقد **اقتنى لنفسه الجسد كأداة** من أجل الأفعال الجسدية ليحتمل به الضعفات الطبيعية البريئة من كل لوم. وهكذا أيضاً **اقتنى لنفسه نفساً بشرية كأداة** ليحتمل بها الآلام البشرية البريئة. فقد قيل عنه إنه احتمل التعب من السفر سيراً على الأقدام (يو ٤:٦)؛ والاضطراب (يو ١٢:٢٧)، والخوف

(١٠) تفسير يوحنا ١٩:٢٠و٢٠ PG 74:705D
الدفاع ضد الشرقيين عن الحرم الثاني عشر PG 76:381C
والقديس أثناسيوس يقول في هذا المعنى: (لو لم تكن ضعفات الجسد قد نسبت للوغس لَمَا كان الإنسان قد تخلّص منها بالكلية) ضد آريوس ٣٣:٣ N.P.N.F. 4:411
(١١) عن الإيمان القويم إلى الملكات ٤٤ PG 76:1412-1413

والحزن (مت ٢٦: ٣٨)، وجهاد الموت ἀγωνία (لو ٢٢: ٤٤)، وأخيراً الموت نفسه على الصليب. وهكذا بذل جسده الخاص عن أجسادنا جميعاً وأسلم نفسه الخاصة أيضاً فدية عن نفوسنا جميعاً.](١٢)

وتطبيقاً لنفس المبدأ "**ما لا يؤخذ لا يمكن أن يُخلَّص**" كان لا بد من أن يأخذ منّا كل ضعفاتنا. فكان لا يكفي أن يأخذ جسداً هائئاً غير معرَّض للآلام بل كان لا بد من أن يأخذ مع الجسد كل ما يتبعه من "آلام" وضعفات وانفعالات. فيقول القديس كيرلس:

[وكما نقول أن الجسد قد صار له خاصة هكذا أيضاً ضعفات الجسد قد اقتناها لنفسه **تدبيرياً** بحسب منهاج الإخلاء لأنه «قد صار مشابهاً لإخوته في كل شيء» (عب ٢: ١٧) ما خلا الخطية وحدها.](١٣)

والقديس أثناسيوس يقول في هذا المعنى:

[إذاً فبالضرورة حينما كان – اللوغس – في الجسد المتألم والباكي والمتعب فهذه الأمور الخاصة بالجسد – أي الألم والبكاء والتعب – قد نُسبت له كما نسب له الجسد أيضاً.](١٤)

وكلمة **تدبيرياً** عند القديس كيرلس تعني "**من أجل تدبير الخلاص**"، أي أنه أخذ على نفسه "**ضعفات الجسد**" لكي يعتقنا من سطوتها ويبطلها عنّا!

---

(١٢) عن الإيمان القويم إلى ثيئودوسيوس ٢١ PG 76:1164B

(١٣) المسيح واحد PG 75:1328

(١٤) ضد آريوس ٣: ٥٦ N.P.N.F. 4:424

ويقول أيضاً القديس كيرلس بنفس هذا المعنى:

[إذاً، فقد كان هدف الكلمة المتجسِّد - من هذه الضعفات - أن يظهر بوضوح أنه قد ارتدى جسداً بالحقيقة وصار إنساناً، فإنه لم يكن ممكناً أن يخلِّص الجنس البشري بوسيلة أخرى ... وبصفته «غير عارف للخطية» ومنزَّه عن كل خطأ قد رفض الخطية بحق، إلاَّ أنه سمح لجسده ولبشريته أن تتألم بكل ما يخص الطبيعة البشرية.](١٥)

أي أنه لم تكن هناك "**وسيلة أخرى**" لخلاصنا إلاَّ فقط بأن "**يرتدي الكلمة جسداً بالحقيقة**"، "**ويحتمل أن يتألم هذا الجسد بكل ما يخص الطبيعة البشرية**"، أو بمعنى آخر أن تدبير التجسُّد لا يكتمل إلاَّ باشتراك الرب في جميع آلام البشرية وضعفاتها. لذلك يقول بخصوص الذين يتهيَّبون من أن ينسبوا للرب "ضعفات الجسد":

[إن لم يكن قد صار إنساناً وولُد من امرأة بحسب الجسد فلنرفع عنه الأمور البشرية. ولكن إن كان قد أخضع نفسه حقاً لمثل هذا الإخلاء حتى صار مشابهاً لنا، فلماذا يرفضون أن يعتبروه في وضع الإخلاء؟ إنهم بذلك يبطلون بغبائهم حكمته العالية في تدبير تجسُّده!.](١٦)

أي أن "**حكمته العالية**" في تدبير التجسُّد **كانت في احتمال ضعفاتنا في جسده لكي يعتقنا منها**. فحينما نرفض أن ننسب له هذه الضعفات فنحن نبطل بغبائنا "حكمته في تدبير تجسُّده":

---

(١٥) الكنز في الثالوث ٢٤ PG 75, 393BC

(١٦) المسيح واحد PG 75:1320

[فلو لم يكن قد اشترك في "الـــذي لنـــا" – أي الجسد بكل آلامه وضعفاته وانفعالاته – لما كان قد حرر طبيعة الإنسان من الوصمة التي أصابتنا في آدم، وما كان قد طرد الفساد من أجسادنا، وما كانت قوة اللعنة الآتية إلى المرأة الأُولى قد أُبطلت لأنه قيل لها «في الأحزان تلدين البنين».](17)

ب – المضادة: غير المتألم تألم!

إن أول ما يقابلنا بخصوص آلام الكلمة المتجسِّد أن الآلام تتنافى تماماً مع لاهوته الفائق لكل ألم وكل تغيير وكل "ظل دوران":

[إن اللوغس في حد ذاته غير قابل للتغيُّر ولا للتحوُّل فالابن كالآب أيضاً، وهو غير قابل لأن يتألم.](18)

[إنه لكونه إلهاً بطبعه يعتبر خارج نطاق الألم πέρα πάθους.](19)

[فمن الباطل أن يُقال عنه – اللوغس – إنه كان شريكاً في تقبُّل الإساءات لأن اللاهوت فوق الألم وليس مثلنا.](20)

فصفة "**عدم التألُّم**" ἀπάθεια هي صفة طبيعية لله. واللوغس لكونه إلهاً بطبعه غير متألم ἀπαθής بطبعه الخاص ولكن كان لا يمكن أن يخلِّصنا إلاَّ بأن يتألم من أجلنا (انظر أقوال الجزء أ صفحة ٣٤) لذلك يستطرد القديس كيرلس قائلاً:

---

(١٧) ضد نسطور ١:١.

(١٨) تعليم في تجسُّد الوحيد ٥ PG 75: 1374C

(١٩) المسيح واحد PG 75:1356

(٢٠) تعليم في تجسُّد الوحيد ٨ PG 75:1377B

[ولكنه أراد أن يتألم ليخلّص الذين تحت الفساد ... لذلك فقد اقتنى لنفسه جسداً قابلاً لأن يذوق الموت ويحيا من جديد، حتى أنه مع بقائه "غير متألم" يمكن أن يُقال أيضاً أنه تألم في جسده الخاص، لأنه بذلك قد خلّص ما قد هلك.][21]

هنا تبدأ **المضادة** تظهر "إنه مع بقائه **غير متألم** يمكن أن يقال عنه أيضاً أنه **تألّم** في جسده الخاص". وقبل أن نورد بقية أقوال القديس التي تبرز هذا المعنى، نود أن نقول إنه هو نفسه قد استخدم لفظ "**المضادة**" عموماً فيما يخص آلام الرب وإخلائه:

[ففي المسيح نجد هذه **المضادة** παράδοξον الغريبة والعجيبة حقاً، فقد كانت فيه الربوبية في شكل العبد والمجد الإلهي في الهوان البشري والكرامة الملكية كانت تتوّج الذي تحت النير – فيما يخص حدود بشريته – والمذلّة المتناهية كانت مرفوعة فوق القمم.][22]

وفي كافة كتاباته يلذ له أن يبرز هذه "**المضادة**" في أحدّ صورة لها أي أن "**غير المتألم قد تألّم**":

[مع أنه قيل عنه أنه تألّم إلاّ أننا نعلم أنه بصفته إلهاً هو "غير متألّم". فنحن نقول إذاً إنه تألم واحتمل الموت **تدبيرياً** في جسده الخاص حتى يدوس الموت ويقوم بصفته هو الحياة ومعطي الحياة فيتمكن بذلك أن يحوّل إلى عدم فساد ما كان معذّباً تحت سطوة الموت أعني الجسد. وهكذا فاضت منه إلينا قوة ما أكمله

(٢١) المسيح واحد PG 75:1356

(٢٢) المسيح واحد PG 75:1320

في نفسه وامتدت منه إلى سائر جنسنا.][23]

[فإن كلمة الله نفسه قد أخذ شكل العبد واشترك في اللحم والدم واحتمل أن يسلّم جسده الخاص للموت من أجلنا. فمع كونه "**غير متألّم**" **بطبعه إلاّ أنه تألّم** في الجسد **بإرادته**.][24]

[ينبغي إذاً أن نعتقد بتقوى أن **اللوغس قد اقتنى لنفسه تماماً وبكل تأكيد الآلام** الواقعة **على جسده الخاص**، ومع ذلك أنه **بقي "غير متألّم" كإله** مع أنه لم يكن غريباً عن آلام جسده.][25]

[أمّا بخصوص اللوغس فمن الباطل أن يُقال عنه أنه كان شريكاً في تقبُّل الإساءات لأن **اللاهوت فوق الألم** وليس مثلنا. ولكن من حيث أنه اتحد بجسد ذي نفس عاقلة، فلما كان هذا الجسد يتألم كان هو – اللوغس – في غير ألم ἀπαθῶς مدركاً[26] لما يقع على جسده من آلام.][27]

[إنه – اللوغس – في حد ذاته غير قابل للتغيير ولا للتحوُّل كالآب أيضاً، وهو غير قابل لأن يتألّم. ولكن لمّا صار جسداً

---

(٢٣) ضد نسطور ٥:١.

(٢٤) ضد نسطور ٥:٥.

(٢٥) ضد نسطور ٥:٤.

(٢٦) بخصوص هذا "الإدراك" يقول في نفس الموضع إن اقتناء اللوغس لآلام جسده عن طريق "الإدراك" يشبه اقتناء أي نفس بشرية لآلام جسدها عن طريق الإدراك.

(٢٧) تعاليم في تجسُّد الوحيد ٨ PG 75:1377B

أي إنساناً فقد اقتنى لنفسه خاصة مذلة الطبيعة البشرية.][28]

[إذا اعتبرنا أنه مع بقائه إلهاً قد صار مثلنا فإننا نقر بأنه بحسب لاهوته "غير متألِّم" ومع ذلك فقد احتمل الضعف من أجلنا في بشريته أي في جسده.][29]

وخلاصة هذه الأقوال، **"أنه مع بقائه غير متألِّم يُقال عنه أيضاً أنه تألَّم في جسده الخاص"** أو كما جاء في قول آخر: **"مع كونه غير متألِّم بطبعه إلاَّ أنه تألَّم في الجسد"**.

إن هذه المضادة تضعف وتفقد قوتها إذا ما أضعفنا قوة الاتحاد بين الجسد المتألِّم واللوغس غير المتألِّم، أي إذا اعتبرنا مثل نسطور أن في المسيح شخصين: إله غير متألِّم، وإنسان متألِّم. ولكن هذا يودي بالقيمة الإلهية لآلام الرب وبجميع نتائجها الخلاصية. لذلك يهتم القديس كيرلس بأن يؤكد وحدة شخصية هذا الإله المتجسِّد "غير المتألِّم بطبعه" ولكن الذي "تألَّم في جسده الخاص":

[إن المسيح جاع وتعب من السفر ونام في السفينة ولُطم من الخدام وجُلد من بيلاطس وتُفل عليه من العسكر وطُعن بالحربة في جنبه وقبل في فمه خلاً ممزوجاً بمر؛ بل وذاق الموت محتملاً الصليب وإهانات أخرى من اليهود. ونحن نرفض أن نقسِّم عمانوئيل إلى إنسان من جهة وإلى اللوغس من جهة أخرى، ولكننا إذ علمنا أن اللوغس قد صار إنساناً بالحقيقة مثلنا فنحن

---

(٢٨) تعاليم في تجسُّد الوحيد ٥ PG 75:1374C

(٢٩) ضد نسطور ٥:٣.

نقر أنه هو هو بعينه إله من إله، وبحسب بشريته إنسان مثلنا مولود من امرأة. فنحن نعترف إذاً أنه من حيث أن الجسد كان له خاصة فقد تألَّم هو – اللوغس المتجسِّد – بجميع هذه الآلام ومع ذلك فقد حفظ طبيعته الخاصة – أي لاهوته – في غير ألم لأنه لم يكن إنساناً مجرداً بل كان هو نفسه بعينه إلهاً بطبعه. وكما أن الجسد كان له خاصة، هكذا أيضاً آلام الجسد الطبيعية التي لا لوم فيها صارت له خاصة.](٣٠)

أي أن اقتناء اللوغس لآلام الجسد ينتج كنتيجة مباشرة من اقتنائه للجسد. فكما أن **الجسد صار "جسده الخاص"** هكذا أيضاً آلام الجسد صارت **"آلامه الخاصة"**، وذلك مع بقائه غير متألِّم بطبعه الخاص.

إن القديس كيرلس يريد بذلك أن ينبِّه أذهاننا إلى **وحدة شخصية هذا الإله المتألِّم بالجسد مع بقائه غير متألِّم بطبعه الخاص، لأن لنا في هذه الوحدة منتهى الخلاص! ولكي يشد انتباهنا أكثر إلى قوة المضادة الكائنة في هذه الآلام الإلهية، يلخِّص هذه المضادة ويبلورها في لفظين متناقضين لا يمكن أن يجتمعا بحسب المنطق البشري:**

[إنه تألَّم في غير ألم! ἀπαθῶς ἔπαθεν.]

ويكررها على الأقل في ثلاثة مواضع من كتاباته(٣١) ويشرحها قائلاً: [إنه تألَّم لمَّا تألَّم الجسد من حيث أنه جسده الخاص وبقي غير

---

(٣٠) تعاليم في تجسُّد الوحيد ٣٥ PG 75:1409BC

(٣١) شرحه PG 75:1409D، تفسير يوحنا ١٩:٢٦و٢٧ PG 74: 664B، عن الإيمان القويم للملكات ٤٢ PG 76: 1393B

متـألِّم مـن حيـث أن صفتـه الخاصـة هـي أن يكـون غـير قـابل لأن يتـألّم.][32]

ج ـ **النتيجـة الخلاصيـة لهـذه المضـادة:**

ولكـي نفهـم النتيجـة الخلاصيـة المبدعـة الـتي يسـتخلصها القديـس كـيرلس مـن هـذه المضـادة ينبغي أن نقارنهـا **بمضـادة أخـرى: "غـير المـائت قد مـات"**:

[الإلـه غـير المـائت ἀθάνατος نقـول عنـه أنـه مـات كإنسـان!][33]

فـالحل الوحيـد لكـي تتحقّـق هـذه المضـادة، أي أن غـير المـائت يمـوت بـالحقيقـة كإنسـان ويبقـى في نفـس الوقـت غـير مـائت دون أي ازدواج في شـخصيته، الحـل الوحيـد لكـي يتحقّـق هـذا الأمـر المسـتحيل لأذهاننـا هـو أن يبطـل المـوت:

+ «قـد أبطـل المـوت وأنـار الحيـاة والخلـود.» (٢تـي ١:١٠)

+ «ابتلـع المـوت إلى غلبـة.» (١كـو ١٥:٥٤)

+ «المـوت لا يكـون بعـد.» (رؤ ٢١:٤)

لأنـه لمّـا تجاسـر المـوت وتطـاولت يـده علـى "رئيـس الحيـاة" غـير المـائت بطبعه كـانت النتيجـة الحتميـة أن يبطـل المـوت نفسـه.

والقديـس كـيرلس يدعونـا إلى أن نطبِّـق علـى موضـوع "الآلام" نفـس المبادىء الخلاصيـة الـتي نطبقهـا علـى موضـوع المـوت. فـالحل الوحيـد لكـي يتـألم المسـيح بكافـة آلام البشـرية ويبقـى في نفـس الوقـت غـير متـألم بطبعـه

---

(٣٢) تعاليم في تجسُّد الوحيد ٣٥ PG 75: 1409, 1410

(٣٣) الكنز في الثالوث ٢٠ PG 75: 332C

الإلهي دون أي ازدواج في شخصيته، الحل الوحيد لكي يتحقق هذا الأمر هو أن تبطل قوة الآلام لأنها تكون تلامست في شخص المسيح الواحد مع اللوغس غير المتألم!

[فلما كان الجسد يتألّم كان هو - اللوغس - في غير ألم مدركاً لما يقع على جسده - من آلام - وكإله كان يبطل ضعفات الجسد وذلك بأن يقتنيها لنفسه خاصة بصفتها قد وقعت على جسده الخاص. وهكذا يقال عنه إنه جاع وضعف وتألّم من أجلنا.][٣٤]

والقديس أثناسيوس يقول في هذا المعنى:

[وإذ كان هو غير الجسدي متجسِّداً في الجسد المتألم **كان الجسد يحوي في ذاته اللوغس غير المتألّم الذي كان يبطل الضعف اللاصق بالجسد**. وقد فعل ذلك لكي إذ يقبل ما هو لخاصتنا في نفسه ويرفعه ذبيحة عنّا، **يبطله بذلك عنا**.][٣٥]

ويعود القديس كيرلس ويعدد بالتفصيل أنواع الآلام التي قبلها الرب منّا والنتيجة الخلاصية لكل منها:

[لأنه لو لم يكن قد خاف لما كانت طبيعتنا قد انعتقت من الخوف، ولو لم يكن قد حزن لما كانت قد تخلّصت من الحزن، ولو لم يكن قد انزعج واضطرب لما خرجت أبداً من دائرة هذه الانفعالات πάθη. وهكذا بالنسبة لجميع الأشياء التي حدثت له بشرياً يمكنك أن تطبق نفس المبدأ فتجد أن الانفعالات - أو

---

(٣٤) تعاليم في تجسُّد الوحيد ٨ PG 75:1377B

(٣٥) رسالة N.P.N.F. IV, 572 ٦:٥٩

الآلام πάθη – الجسدية كانت تتحرك في المسيح ولكن ليس لكي تكون سائدة كما يحدث فينا، بل لكي إذا ما تحركت فيه تبطل بواسطة قدرة اللوغس الحال في الجسد فتتغير بذلك الطبيعة (البشرية) إلى ما هو أفضل.][٣٦]

إذاً، "فقدرة اللوغس الحال في الجسد" الذي كان "يقتني لنفسه خاصة ضعفات الجسد" كانت نتيجتها الحتمية أن "تبطل" هذه الضعفات. "وهكذا بالنسبة لجميع الأشياء التي حدثت له بشرياً".

[فقد بكى بشرياً لكي يجفف دموعك، وخاف تدبيرياً تاركاً جسده ينفعل بما يناسبه لكي يملأك شجاعة ... وهكذا صار ضعيفاً في بشريته لكي يبطل ضعفاتك، وقدَّم طلبات وتضرعات للآب لكي يجعل أُذن الآب صاغية لصلواتك وهكذا أخذ على عاتقه جميع ضعفات البشرية.][٣٧]

والقديس أثناسيوس يقول في هذا المعنى:

[أخذ ضعفنا عليه وهو غير ضعيف وجاع وهو الذي لا يجوع لكي يرفع ما هو لنا حتى يبطله عنّا ... فحينما يُقال عنه إنه جاع وبكى وضعف وصرخ «إلُوِي إلُوِي» التي هي هي جميعاً انفعالاتنا البشرية فهو قد استلمها منّا لكي يرفعها إلى الآب متشفعاً فينا حتى يبطلها عنّا في ذاته.][٣٨]

---

(٣٦) الكنز في الثالوث ٢٤ PG 75:397

(٣٧) الدفاع عن الحرم العاشر ضد ثيئودوريت PG 76:441B,D

(٣٨) ضد أريوس ٤ :٦و٧ N.P.N.F. IV, 435

لقد "**خـــاف** تدبيرياً تاركاً جسده ينفعل بما يناسبه **لكـــي يمـــــلأك شـــجاعة**"، يشـــير بذلـــك القديـــس كـــيرلس إلى انزعـــاج نفـــس المخلّـــص تدبيريـاً في جثسـيماني في الليلـة الـتي أُسـلم فيهـا. والآبـاء عمومـاً يـرون أن المخلِّص في هـذه السـاعة قـد سمـح تدبيريـاً للخـوف مـن المـوت بحسـب البشـر أن يتحـرك فيـه "حتـى إذ يُبطـل هـذا الانفعـال يجعـل الإنسـان بالتـالي لا يهـاب المـوت"(٣٩). والقديـس كـيرلس يـرى مثلهـم **أن المخلّـص في هـذه الليلـة أخـذ خوفنـا لكـي يحولـه في نفسـه "إلى شـجاعة لائقـة بـا لله"**، ولكنـه يضيـف إلى ذلـك مفعـولاً خلاصيـاً آخـر لصـلاة الـرب في جثسـيماني، مـن أهـم مـا يمكـن، وهـو إخضـاع الـذات البشـرية لله الخـالق. فهـو يقـول بخصـوص قـول الـرب: «إن أمكـن أن تعـبر عـني هـذه الكـأس ...» (مـت ٢٦:٤٢):

[أتـرى كيـف أن طبعنـا البشـري عـاجز حتـى في المسـيح نفسـه – حينمـا نعتـبر فيـه مـا يختص بهـذا الطبـع – ولكنـه يعـود ويتحـول بواسـطة اللوغـس المتحـد بـه إلى شـجاعة لائقـة بـا لله. ويتقـوَّم هدفـه بحيـث لا يسـعى فيمـا بعـد إلى مـا يستحسـنه هـو بحسـب إرادتـه الذاتيـة بـل بـالحري إلى تتميـم القصـد الإلهـي فيسـعى بنشـاط إلى تتميم كل مـا يدعونـا إليـه نـاموس الخـالق.](٤٠)

إذاً، فجهـاد الـرب مـن أجلنـا في جثسـيماني كـانت لـه نتيجتـان خلاصيتـان:

---

(٣٩) أثناسيوس في تفسيره لقول المخلّص: «إن أمكن أن تعبر عـني هـذه الكأس» (مت ٢٦:٤٢) ضد أريوس ٣:٥٧ N.P.N.F. IV, 424

(٤٠) تفسير يوحنا ٦:٣٨و٣٩ PG 73, 532B

الأولى: أن يُبطل عنّا الخوف من الموت (عب ٢: ١٥) ويحوله إلى "شجاعة لائقة با لله".

والقديس أثناسيوس يقول أيضاً في ذلك:

[فكما أنه قد أبطل الموت بموته والشرور البشرية بأموره البشرية، هكذا أيضاً بهذا الخوف الظاهر قد رفع عنّا الخوف وأبطله عنّا **بحيث لا يخاف الناس فيما بعد من الموت**!][٤١]

ولعل في هذا أوضح إجابة للسؤال الذي نتساءله: كيف يحزن الرب ويخاف ساعة الموت بينما نرى الشهداء يفرحون ويتقدمون بشجاعة؟ فهو قد أخذ منّا هذا الضعف لكي يبطله عنا ويحوله في نفسه "إلى شجاعة لائقة با لله".

والثانية: أن يُخضع طبعنا البشري في نفسه بحيث لا يسعى فيما بعد إلى تنفيذ **إرادته الذاتية بل بالحري إلى تتميم القصد الإلهي**. إذاً، فقد أخذ المخلِّص منّا **الذاتية** البشرية لكي يتغلّب عليها في نفسه فيخلِّصنا منها إلى الأبد ويجعلنا لا نسعى فيما بعد إلاَّ إلى تتميم القصد الإلهي. فلو علمنا أن "**الذاتية**" هي داء الإنسان الأساسي الذي يدفعه إلى كافة الشرور بل أنها هي التي دفعت آدم إلى المعصية إذ أنه أراد أن يكون كا لله له معرفة ذاتية للخير والشر، ثم أنها هي الجرثومة العاملة وراء جميع خطايا الإنسان، إذا علمنا ذلك لأدركنا أهمية ما حققه لنا الرب في جهاده النفسي من أجلنا في جثسيماني. وفي موضع آخر يقول القديس كيرلس بنفس هذا المعنى:

---

(٤١) ضد أريوس ٣: ٥٧ N.P.N.F. IV, 424

[إن المسيح أعاد تشكيل الجنس البشري في نفسه بحيث يتحرك تلقائياً لعمل ما يسر الله بدلاً من تنفيذ مشيئته الذاتية.][42]

إذاً فقد أخذ المسيح منّا جميع آلامنا وانفعالاتنا وضعفاتنا لكي يتغلّب عليها في نفسه بقوة اللوغس الحال فيه فيحولها إلى عكس ما كانت، بل إلى صفات "لائقة با لله!" وليس ذلك إلاّ تطبيقاً لمبدأ التبادل الخلاصي العام في أنه «افتقرمن أجلنا وهو غني لكي نستغني نحن بفقره» (٢كو ٨:٩)، أي أنه "**أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له**"[43]، وحينما يطبق القديس كيرلس هذا المبدأ على موضوع الألم بصفة عامة يصل إلى نتيجة عجيبة حقاً وغير متوقعة، إذ يقول أن المسيح حينما أخذ منّا **قابلية الألم** أعطانا عوضاً عنها شركة في صفته الإلهية في "**انعدام الآلام** ἀπάθεια"[44]. هذه هي نتيجة المضادة الكائنة في "الآلام الإلهية" لأنه إن كان الإله قد أخذ منّا الألم "الذي لنا"، فالنتيجة الطبيعية أن يعطينا شركة في "الذي له" أي شركة في صفاته الإلهية.

والقديس أثناسيوس يقول في هذا:

---

(٤٢) تفسير يوحنا ١٤:٢٠ PG 74:276C

(٤٣) تفسير لوقا ١١:٢ PG 72:688B

(٤٤) تفسير يوحنا ١٨:١و٢ PG 74:577D

ولعل هذه الشركة في "انعدام الآلام" هي التي جعلت بولس الرسول يقول: «في ما بعد لا يجلب أحدٌ عليَّ أتعاباً (آلاماً) لأني حاملٌ في جسدي سمات (آلام) الرب يسوع» (غل ٦:١٧)، لأن الشركة في آلام الرب تعطي شركة في انعدام آلامه. ولعل لنفس السبب يقول: «مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين، متحيرين لكن غير يائسين، مضطهدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين.» (٢كو ٤:٨و٩)

[والذي وقع على جسد الكلمة كان الكلمة يقبله كأنه له لأنه متحد بالجسد لكي نستطيع نحن أن نشارك لاهوتية الابن.](٤٥)

والقديس كيرلس يُشير إلى ذلك في القول الذي يتكلّم فيه عن "**المضادة**" الكائنة في آلام الرب:

[ففي المسيح نجد هذه المضادة الغريبة والعجيبة حقاً. فقد كانت فيه الربوبية في شكل العبد، والمجد الإلهي في الهوان البشري والكرامة الملكية كانت تتوج الذي تحت النير - فيما يخص حدود بشريته - والمذلّة المتناهية كانت مرفوعة فوق القمم. لأن الابن الوحيد قد صار إنساناً ليس لكي يبقى على الدوام في حدود إخلائه؛ بل لكي إذ يقبل هذا الإخلاء مع كل ما يترتب عليه، يظهر نفسه - حتى وهو في هذا الوضع - أنه إله بطبعه، فيكرم بذلك طبيعة الإنسان بأن يجعلها شريكة في الكرامات الإلهية المقدّسة.](٤٦)

أي أن نتيجة المضادة الكائنة في آلام الرب هي أن المسيح "قد أظهر نفسه أنه إله بطبعه" حتى وهو "في وضع المذلة المتناهية" لكي يجعل طبيعة الإنسان التي بطبعها في هذه المذلة "يجعلها شريكة معه في الكرامات الإلهية!" إلى هذا الحد تصل النتائج الخلاصية الفائقة للآلام الإلهية أي لآلام الإله المتجسِّد الذي لمّا صار في الألم "لم يزل إلهاً!" و لم يزل غير متألم بطبعه الخاص لكي يبطل آلام جسده بانعدام آلام لاهوته! وهذا هو السبب الذي من أجله لا يمل القديس كيرلس من التركيز في جميع أقواله على ألوهية هذا الإله المتألم في الجسد من أجلنا!

---

(٤٥) رسالة ٥٩ :٦ N.P.N.F. IV: 572

(٤٦) المسيح واحد PG 75:1320

الفصل الرابع

موت المسيح من أجلنا

إن الاتحاد الأقنومي الذي تمَّ في المسيح بين اللوغس الحي والمحيي الذي هو "الحياة" بطبعه وبين "الجسد المائت المأخوذ من المائتين"، هذا الاتحاد الفائق هو الذي يعطي موت المسيح قوته الإلهية الفائقة ويجعله موتاً محيياً بالحقيقة. فكما رأينا القديس كيرلس في الفصلين السابقين يعتبر هذا الاتحاد أساساً لكل الخيرات التي فاضت إلينا من حياة المسيح المقدَّسة وآلامه من أجلنا، هكذا سنراه في هذا الفصل أيضاً يتخذه أساساً لتعليمه بخصوص موت المسيح من أجلنا:

[إن الجسد المائت - أي القابل للموت - المأخوذ من المائتين المستعبدين للموت قد صار هو نفسه جسداً للحياة - أي للوغس - لكي بهذا الجسد الذي كان خاضعاً للموت بحسب طبيعته الخاصة يتمكن - اللوغس - أن يحارب الموت وذلك بأن يقيمه من الأموات ويشكله من جديد في عدم فساد وفي نصرة على الموت. لأن الموت لمَّا أصاب جسد الحياة، انعدمت قوته.][1]

---

(١) ضد ديودور ٦:
(Library of Fathers of the Holy Catholic Church, Oxford) p. 323.

هنا تظهر قيمة الاتحاد الفائق الذي تمَّ في المسيح بين "الجسد المائت" وبين اللوغس الذي هو "الحياة"، فكانت نتيجته أن يصير الجسد "جسداً للحياة" وبالتالي ينغلب أمامه الموت حتماً. "لأن الموت لمَّا أصاب جسد الحياة انعدمت قوته"، وهكذا بهذا الاتحاد الفائق أكمل الرب "امتزاج الحياة بالموت":

[فإنه لم يكن ممكناً بأية وسيلة أخرى أن يمزج الحياة بالموت إلاَّ بأن يلبس هو – اللوغس المحيي – جسداً قابلاً للموت.][2]

فهذا الجسد القابل للموت بل والمائت فعلاً على عود الصليب ولكنه حي بقوة اللوغس المتحد به[3] الذي لا يمكن أن يفارقه لحظة واحدة ولا طرفة عين، هذا الجسد المائت هو أساس امتزاج الحياة بالموت وبالتالي هو أساس انغلاب الموت من الحياة. وبهذا يظهر أن الاتحاد بين اللوغس والجسد هو أساس انغلاب الموت وهذا هو السبب الذي جعل القديس كيرلس يركز باستمرار على تأكيد ألوهية المسيح المصلوب. فمثلاً في كتابه "ضد نسطور" يقول له:

[وبينما أنتَ ترى في الذي سُمِّر على الخشبة مجرد شخص منظور ... نحن نرى فيه اللوغس الذي من الله الآب وقد صار متجسِّداً.][4]

---

(٢) ضد ديودور ١١ LFC, p 326

(٣) «إن كان قد صُلب من ضعف لكنه حي بقوة الله» (٢كو ١٣: ١٤)، وكثيراً ما يفسر القديس كيرلس قوة الله هذه أنها هي اللوغس نفسه الذي كان يحيي جسده المائت (انظر مثلاً: المسيح واحد PG 75:1344، ضد نسطور ٥: ٢و٣).

(٤) ضد نسطور ٥: ٦.

[يقول بولس الرسول: «إنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١كو ٢: ٨). فإن كان الذي احتمل الصليب من أجلنا هو رب المجد فكيف لا يكون هو الله بطبعه؟ أليس نحوه يصعد تسبيح السيرافيم إذ يقولون: "السماء والأرض مملوءتان من مجدك" ويدعونه رب الصباؤوت، فمن الواضح أن هذا التسبيح موجه إليه لأنه حقاً - هذا المصلوب - هو رب المجد بحسب قول بولس.][٥]

وفي جميع أقواله الأخرى الخاصة بآلام الرب وموته على الصليب لا يمل من أن يكرر ألقاب المسيح الإلهية مثل "اللوغس" و"الحي والمحيي" و"الحياة بطبعه" و"غير المائت" و"غير المتألم" و"الوحيد"[٦].

والسبب في ذلك كما قلنا إن اتحاد اللوغس بالجسد في المسيح المصلوب هو مصدر جميع بركات هذا الموت المحيي.

والقديس كيرلس يعتبر عموماً اتحاد الكلمة مع الجسد المعبَّر عنه بالآية «والكلمة صار جسداً» أنه أساساً اتحاد المحيي بالمائت. فقد

---

(٥) الكنز في الثالوث ٣٢ PG 75: 460D

(٦) وقد انطبعت صلوات أسبوع الآلام في الكنيسة القبطية بهذه الروح، فهي تركز باستمرار على تأكيد ألوهية المسيح المصلوب والاعتراف له «بالقوة والمجد والبركة والعزة»، انظر مثلاً لحن "أومونوجينيس" الذي يؤكد بإلحاح متكرر أن هذا المصلوب الإلهي هو نفسه اللوغس وحيد الآب والأزلي وغير المائت والواحد من الثالوث التي هي جميعاً ألقابه الإلهية، انظر أيضاً قطع الساعة السادسة والتاسعة التي لا تمل من تكرار عبارة "المسيح إلهنا" في حضرة أيقونة الصلبوت التي يقدَّم لها البخور من جميع الكهنة الحاضرين اعترافاً بألوهية هذا المصلوب الإلهي. وأخيراً يأتي لحن "بيك أثرونوس ⲡⲉⲕⲐⲣⲟⲛⲟⲥ" في آخر يوم الجمعة الكبيرة ليخاطب المسيح المائت معترفاً بلاهوته قائلاً له: "عرشك يا الله إلى دهر الدهور!".

رأيناه في بداية هذا المقال يقول بخصوص هذه الآية إننا نرى في طرفيها (أي الجسد واللوغس):

[ما قد سقط في الموت والذي أقامه من جديد إلى الحياة،
ما قد وقع تحت الفساد والذي طَرد عنه الفساد،
ما قد أُمسك في الموت والذي هو أقوى من الموت،
ما قد حرم من الحياة والذي هو معطي الحياة!](٧)

فبفعل هذا الاتحاد الفائق الصائر في المسيح بين اللوغس المحيي والجسد المائت انتقلت الحياة من المحيي إلى المائت:

[لم تكن هناك وسيلة أخرى لزعزعة سلطان الموت إلاّ بتجسُّد الوحيد. فقد اقتنى لنفسه جسداً قابلاً للفساد بحسب طبعه الخاص، لكي يستطيع بكونه هو نفسه الحياة أن يزرع في الجسد امتيازه الخاص الذي هو الحياة.](٨)

[فإنه كيف كان يمكن أن يصير سر تدبير تجسُّد الوحيد نافعاً لطبيعة الإنسان ... إن لم يكن الجسد الخاضع للفساد قد صار جسداً للحياة – أي للوغس – فيصبح بذلك فائقاً للموت والفساد.](٩)

فبالاتحاد بين الجسد واللوغس صار الجسد فائقاً للموت، لأن صفة "عدم الموت" انتقلت بفعل هذا الاتحاد من اللوغس إلى الجسد.

---

(٧) تفسير يوحنا ١٤:١ PG 73:160
(٨) المسيح واحد PG 75:1352
(٩) المسيح واحد PG 75:1340

ويقول القديس كيرلس بهذا المعنى:

[إن رب المجد قد احتمل بإرادته إهانات اليهود واحتمل الموت تدبيرياً على الخشبة ليس لكي يبقى مائتاً معنا بل لكي يبطل سلطان الموت الذي لم يستطع أحد أن يقاومه ولكي يعيد بذلك "عدم الفساد" ἀφθαρσίαν إلى طبيعة الإنسان، لأنه كان حقاً إلهاً في الجسد.][10]

أي أن المخلِّص استطاع أن يعيد إلى طبيعة الإنسان صفة عدم الفساد وعدم الموت (التي هي أصلاً صفة إلهية موقوفة على الله وحده بحسب ١تي ٦:١٦)، وذلك بسبب كيانه الإلهي البشري الواحد "لأنه كان حقاً إلهاً في الجسد". فصفة الجسد هي الموت والفساد وصفة اللوغس عدم الموت وعدم الفساد. وبالاتحاد الكامل الذي تمَّ في المسيح بين الجسد واللوغس امتزج الموت بعدم الموت، فكانت النتيجة الحتمية أن ينغلب الموت ويتحول إلى عدم موت. وهنا تظهر مرة أخرى أهمية الاتحاد الأقنومي في غلبة المسيح على الموت. "فقد أعاد عدم الفساد إلى طبيعة الإنسان لأنه كان حقاً إلهاً في الجسد!"

وفي الأقوال القادمة سنرى القديس كيرلس يعود عدة مرات إلى تكرار هذه الفكرة معتبراً أن في المسيح اجتمع الموت بعدم الموت أو بتعبير آخر اجتمع الموت بالحياة فكانت النتيجة الحتمية أن ينغلب الموت إلى الأبد. وهو يعبر عن ذلك بصورة مضادة "غير المائت مات" أو "الذي هو الحياة قد مات"، ويمكن اعتبارها امتداداً للمضادة التي

---

(١٠) ضد نسطور ٥:٣.

وجدناها في الفصل السابق أي أن "غير المتألم تألم" على اعتبار أن الموت هو حالة نهائية للألم:

[الإله غير المائت نقول عنه إنه مات كإنسان.][11]

[إن المسيح قد مات بسببنا ومن أجلنا. فحينما مات جسده يُقال عنه إنه هو نفسه الذي احتمل هذا (الموت) مع أنه غير مائت ἀθάνατος بطبعه، لأن الجسد كان له خاصة و لم يكن جسداً لآخر غيره ولذلك فهو يقتني لنفسه خاصة كل ما يصيب هذا الجسد.][12]

[إن الموت قد أُبطل بموت ذاك الذي لا يعرف الموت!][13]

فالنتيجة الحتمية لهذه المضادة هي أن يبطل الموت ويتحول إلى عدم موت:

[إن المسيح قد حوَّل المائت إلى عدم موت والفاسد إلى عدم فساد وذلك في نفسه هو أولاً، وبذلك صار لنا نحن أيضاً طريقاً نحو الحياة.][14]

---

(١١) الكنز في الثالوث ٢٠ PG 75: 332C

(١٢) الكنز في الثالوث ١٥ PG 75: 281C

وهذا الأسلوب في المقابلة بين موت الرب وصفة عدم موته قد تسجَّل في لحن أجيوس السنوي "قدوس الذي لا يموت الذي صُلب عنَّا ..." وفي أجيوس الطويلة الخاصة بالجمعة الكبيرة "الذي لمَّا صار في الموت بقي غير مائت". وفي مرد إبصالية سبت الفرح الذي يتكرر أكثر من ٣٠ مرة وهو "أجيوس أثاناتوس ناي نان" (قدوس غير المائت، ارحمنا) وبه تؤكد الكنيسة بإصرار أن هذا المائت الموضوع في القبر هو نفسه اللوغس المتجسِّد غير المائت بطبعه الإلهي.

(١٣) المسيح واحد PG 75:1268C

(١٤) عن الإيمان القويم إلى الأميرات PG 76:1284

والصيغة الثانية للمضادة هي أن "**الحياة قد مات**" فينغلب الموت بالضرورة نتيجة لدخول الحياة إليه وهذه المضادة قديمة جداً بل إننا نجدها في كرازة الرسل الأُولى إذ يقول بطرس الرسول: «ورئيس الحياة قتلتموه» (أع ٣:١٥)، ولذلك فهو «لم يكن ممكناً أن يُمسك من الموت» (أع ٢:٢٤):

[كيف يُقال إذاً إن ذاك الذي هو الحياة قد مات؟ لقد كان ذلك بأن احتمل الموت في جسده الخاص لكي يحييه من جديد مظهراً هكذا بحق أنه هو الحياة!][15]

[إن اللوغس كان حيًّا حتى حينما كان جسده المقدَّس يذوق[16] الموت، وقد صار ذلك حتى ينغلب الموت ويُداس الفساد وتمتد قوة القيامة إلى سائر الجنس البشري. فبالحقيقة «كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح أيضاً سيحيا الجميع» (١كو ١٥:٢٢).][17]

[مع كونه هو "الحياة" بطبعه فقد مات بالجسد من أجلنا لكي

---

(١٥) رسالة أُولى إلى الرهبان PG 77: 36C

(١٦) عبارة "**يذوق الموت**" يستخدمها القديس كيرلس ليُعبِّر عن موت الرب، والسبب في ذلك أنها تبرز أن موت الرب كان مجرد مذاقة عابرة فهو "قد ذاق الموت ليس لكي يبقى مائتاً معنا ..." فهو "الحياة" الذي لم يكن ممكناً أن يُمسك من الموت. لذلك فهذه العبارة تتفق مع منهج القديس كيرلس في تأكيد لاهوت هذا المائت الحي الذي "كان حياً حتى حينما كان جسده يذوق الموت".

وجدير بالذكر أن أول من استخدم هذه العبارة هو بولس الرسول في (عب ٢:٩)، وأنها تسجَّلت في بداية قطع الساعة التاسعة: "**يا مَنْ ذاق الموت** بالجسد في وقت الساعة التاسعة ...".

(١٧) المسيح واحد PG 75:1337-1340

يغلب الموت من أجلنا[١٨] ويقيم الطبيعة البشرية كلها معه، لأننا جميعاً كنّا فيه بسبب أنه صار إنساناً.][١٩]

[واحتمل الموت تدبيرياً في جسده الخاص حتى يدوس الموت ويقوم بصفته هو الحياة ومعطي الحياة، فيتمكن بذلك أن يحول إلى عدم فساد ما كان معذباً تحت سطوة الموت أعني الجسد. وهكذا فاضت منه إلينا قوة ما أكمله في نفسه وامتدت منه إلى سائر جنسنا.][٢٠]

هكذا يظهر أن ما حققه المسيح "في جسده الخاص" من غلبة على الموت "امتد منه إلى سائر جنسنا" وذلك "لأننا جميعاً كنّا فيه بسبب أنه صار إنساناً". وفي الأقوال القادمة سنرى القديس كيرلس يعود باستمرار إلى هذه الفكرة:

[إذاً فقد اشترك معنا في اللحم والدم (عب ٢: ١٤) لكي إذ يحارب الموت عنّا في جسده الخاص ويبطله يستطيع بذلك أن يقدّم لأجسادنا المائتة كمال عدم الفساد.][٢١]

---

(١٨) كثيراً ما يقدم القديس كيرلس موت المسيح على الصليب في صورة "**غلبة**" على الموت وقد تأثر الفن التصويري للصليب بذلك، فقد وُجد أن الأيقونات القبطية التي تصور الصليب تحمل عادة في أسفلها حرف ϭ بداية كلمة ϭpo أي الغلبة باللغة القبطية. (انظر كتاب: "مع المسيح في آلامه وموته وقيامته" صفحة ٢٧). وقد كشفت حفريات برية القلالي عن رسومات للصليب معاصرة للقديس كيرلس تحمل حول الصليب عبارة "يسوع المسيح قد غلب" بالقبطية أو اليونانية:

Ic	Xc		Inc	Пxc
NI	Ka		Aq	ϭpo

(١٩) تفسير يوحنا ١: ٣٢و٣٣ PG 73:208B

(٢٠) ضد نسطور ٥: ١ PG 76: 212, 213

(٢١) ضد ديودور ١١ LFC, p. 326

[لقد تغيَّر الأموات وجسدهم الفاسد قد لبس عدم فساد لمَّا صار المسيح مشابهاً لنا وغيَّر المائت إلى عدم موت والفاسد إلى عدم فساد، وذلك في نفسه هو أولاً، وبذلك صار لنا نحن أيضاً طريقاً للحياة.](٢٢)

[فقد لبس جسدنا لكي يقيمه من الموت ويفتح أمام الجسد الذي استسلم للموت طريق العودة إلى عدم الفساد.](٢٣)

[إن الكلمة صار جسداً وحل بيننا ليس لأي هدف آخر إلاَّ لكي يتمكن أن يحتمل الموت بهذا الجسد، فيغلب بذلك الرؤساء والسلاطين ويبيد ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ويبطل الفساد ويطرد معه الخطية المتسلِّطة علينا وينقض اللعنة القديمة التي أصابت طبيعة الإنسان في آدم بصفته باكورة جنسنا وأصله الأول.](٢٤)

[فقد أسلم روحه لله أبيه أي نفسه البشرية المتحدة به لكي بهذا الفعل أيضاً يحسن إلينا. لأن نفوس الناس في القديم حين كانت تنحل من أجسادها، كانت تُرسل إلى المواضع السفلية المظلمة لكي تملأ سراديب الموت. ولكن منذ أن سلَّم المسيح روحه لأبيه فقد افتتح لنا هذا الطريق الجديد، فإننا لن نمضي إلى الجحيم بل بالحري سنتبعه في هذا أيضاً. وبعد أن نكون قد

---

(٢٢) عن الإيمان القويم إلى الأميرات PG 76:1281-1284

(٢٣) تفسير لوقا ٢٢:١٩.

(٢٤) تفسير رومية ٥:٣ PG 74:781D

استودعنا نفوسنا للخالق الأمين (١بط ٤: ١٩) في رجاء الخيرات العتيدة سيقيمنا جميعاً المسيح!](٢٥)

وللقديس كيرلس في تفسيره لإنجيل يوحنا صفحات بديعة بخصوص موت المسيح المحيي تستحق أن نوردها بكاملها:

[كأن المسيح يقول: إني أموت من أجل الجميع لكي أُحيي الجميع بنفسي. لأني جعلت نفسي فدية عن أجساد الجميع، فإن **الموت سيموت بموتي**(٢٦) وطبيعة الإنسان الساقطة ستقوم معي من جديد، فإني لهذا العمل قد صرت مثلكم، أي إنساناً من نسل إبراهيم، لكي أستطيع أن «أشبه إخوتي في كل شيء» (عب ٢: ١٧). فهذا الذي يقوله المسيح قد أدركه جيداً بولس المبارك ولذلك قال: «إذ تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس» (عب ٢: ١٤). فإنه لم تكن هناك وسيلة أخرى لإبادة ذاك الذي له سلطان الموت ولإبادة الموت نفسه أيضاً إلاَّ بأن يبذل المسيح نفسه فدية من أجلنا، الواحد من أجل الجميع، لأنه كان فائقاً للجميع!](٢٧)

[لأن مبدع جميع الأشياء، الابن الوحيد، الذي هو الحكمة عينها، قد حوَّل الخطة الشيطانية، أعني خطة الشيطان في قتل

(٢٥) عن الإيمان القويم للملكات ٤٥ PG 76:1413

(٢٦) "وقتلت الموت بموتك وأظهرت القيامة بقيامتك ..." (قطع الساعة التاسعة)

(٢٧) تفسير يوحنا ٦: ٥١ PG 73:564,565

جسده، هذه قد حولها لنا إلى طريق للخلاص وباب للحياة، وآمال الشيطان انقلبت عليه، وتعلَّم بالخبرة أنه صعب عليه أن يجاهد ضد الله. وكأن المرتل الإلهي ـ داود ـ يوافق على ما قلته عن هذه الأمور، فهو يقول كما عن المسيح والشيطان: «وفي شبكته نفسها سيذله» (مز ١٠:٩و١٠ الترجمة السبعينية) لأن الشيطان بسط الموت كشبكة أمام المسيح، ولكن في نفس شبكته بعينها سقط هو وأُذلَّ. فبموت المسيح قد أُبطل الموت وقد أُبيد الطاغي الذي ظن أنه لن يسقط!][٢٨]

وفي تفسيره للآية: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١:٢٩) يقول:

[إن **الحمل الواحد** قد مات من أجل الجميع،
لكي يخلِّص كل القطيع الأرضي لله الآب.
الواحد من أجل الجميع لكي يخضع الجميع لله،
الواحد من أجل الجميع لكي يربح الجميع،
حتى فيما بعد لا يعيش الجميع من أجل نفوسهم،
بل من أجل الذي مات من أجلهم وقام،
لأننا إذ كنّا بعد خطاة،
وبالتالي مباعين للموت والفساد،
قد بذل الآب ابنه فدية من أجلنا،
الواحد من أجل الجميع لأن الجميع فيه وهو أكرم من الجميع،

(٢٨) تفسير يوحنا ٦:٣٨و٣٩ PG 73:541

الواحد مات من أجل الجميع ليعيش الجميع فيه،
لأن الموت لمَّا ابتلع الحمل - المبذول - من أجل الجميع،
قد تقيأ الجميع معه وفيه،
فإننا جميعاً كنّا في المسيح،
الذي من أجلنا وبسببنا مات وقام أيضاً.](٢٩)

هكذا يصوِّر القديس كيرلس أن الموت لمَّا ابتلع الحمل انفجر بطنه - أي بطن الموت - وأطلق الجميع مع المسيح وفيه، وذلك تطبيقاً للمبدأ الذي قاله بطرس الرسول في أن المسيح: «لم يكن ممكناً أن يُمسك من الموت» (أع ٢:٢٤)، والقديس كيرلس يعلِّق على هذه الآية قائلاً:

[هكذا قد أبيد الموت إذ لم يحتمل "الحياة" بطبعه - أي اللوغس - أن يخضع جسده للفساد لأن المسيح لم يكن ممكناً أن يُمسك من الموت بحسب كلمات بطرس الإلهية، وهكذا انتقلت منه إلينا بركات هذا النصر!](٣٠)

وبهذه العبارة "لم يحتمل **الحياة** بطبعه (أي اللوغس) أن **يخضع جسده** للفساد" يظهر مرة أخيرة أن الاتحاد الفائق الكائن في المسيح بين اللوغس (الحياة) والجسد، هو سر تغلُّبه على الموت وإبطاله عن طبيعة الإنسان. فهذا الاتحاد الفائق هو بحق مصدر جميع الخيرات المتدفقة إلينا من المسيح لأنه **"هكذا انتقلت منه إلينا بركات هذا النصر!"**

---

(٢٩) تفسير يوحنا ١:٢٩ PG 73:192CD

(٣٠) المسيح واحد PG 75:1353

تذييل: صورة للصليب معاصرة للقديس كيرلس وتعبِّر عن روحه تماماً

(وقد نُشرت في كتاب الرهبنة القبطية في عصر أنبا مقار ص ٦٩٧)

لقد كشفت حفريات برية القلالي عن صورة للمسيح على الصليب فريدة من نوعها. وهي ترجع إلى القرن الخامس أي أنها معاصرة تقريباً للقديس كيرلس. وهي تعبِّر تماماً عن روحه في التركيز على ألوهية المسيح المصلوب. فنجد فيها المميزات الآتية:

أ – انها لا تصوِّر المسيح عارياً على الصليب بل لابساً حلَّة المجد، إشارة إلى أنه رب المجد.

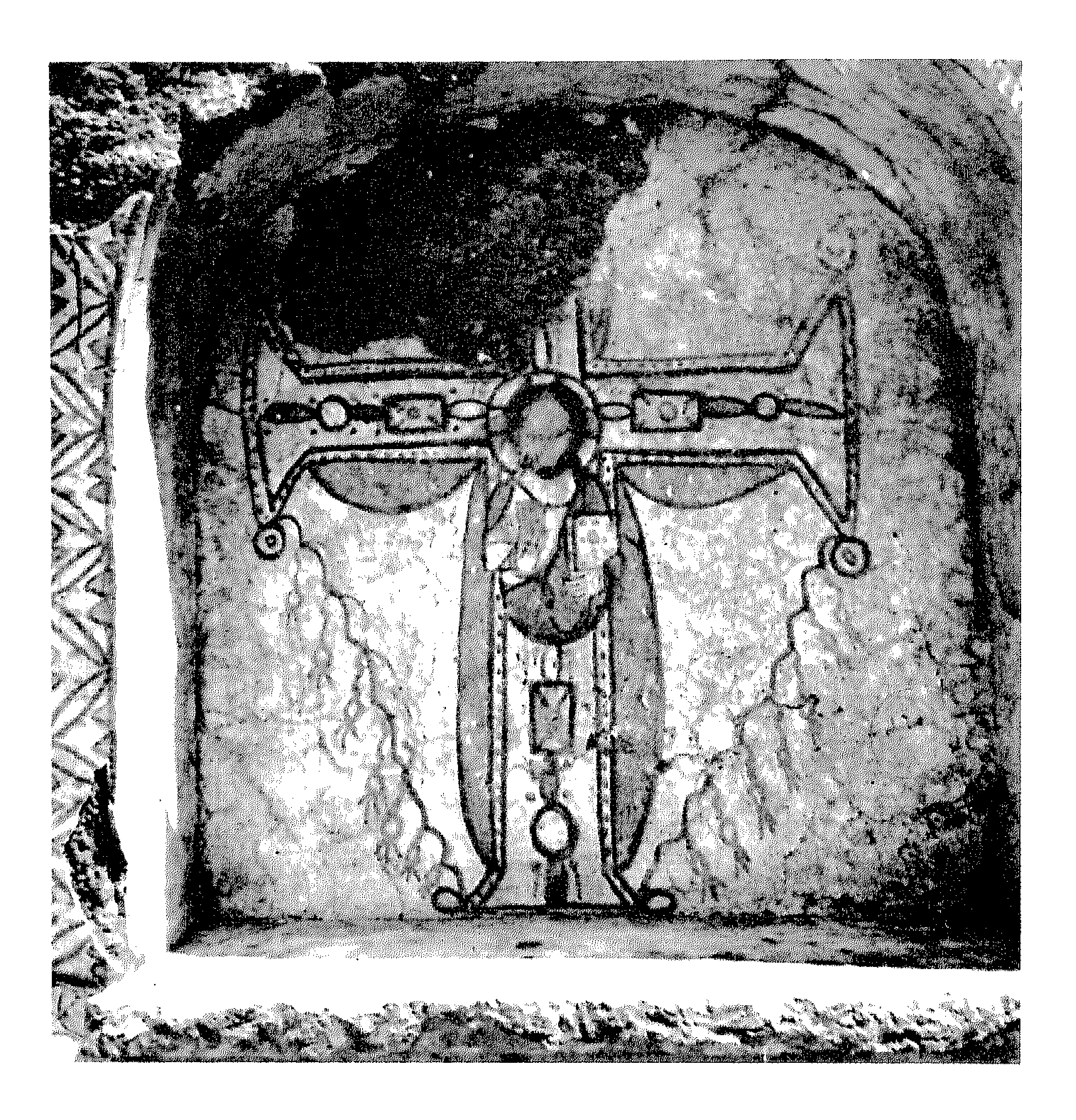
ب – وهو يحمل في يده اليسرى كتاباً إشارة إلى أنه، حتى وهو على الصليب فهو لا يزال اللوغس كلمة الله.

ج – وأما يده اليمنى فيرفعها عاملاً بإصبعه حرف V الذي هو بداية كلمة νικᾷ (NIKA) اليونانية (فعل "**غلب**") إشارة إلى أنه بالصليب قد غلب الموت.

د – وهي صورة نصفية لا تُظهر من المسيح على الصليب إلاَّ نصفه العلوي وربما القصد من ذلك الإشارة إلى أن هذا المصلوب هو بعينه الابن الوحيد الذي في حضن الآب.

وعموماً هدوء المسيح في هذه الصورة يوحي بأن هذا المصلوب هو بعينه اللوغس الذي يبقى غير متألم في وسط الألم.

وجدير بالذكر أن القديس كيرلس كان على صلة دائمة بالرهبان فله عدة رسائل للرهبان، بل إنه هو نفسه تربَّى في البرية. فليس من الغريب أن نجد مبادئه الروحية في هذه الصورة المرسومة في الأوساط الرهبانية المعاصرة له.



ⲓⲏ̅ⲥ̅ ⲡⲭ̅ⲥ̅ ⲁϥϭⲣⲟ

أيقونة المسيح المصلوب مع رسم كروكي

من برية القلالي من القرن الخامس

الباب الثاني

المسيح

في قيامته وصعوده وكهنوته السماوي من أجلنا

الفصل الأول

قيامة المسيح من أجلنا

أولاً – في تعليم القديس أثناسيوس

إن القيامة في تعليم القديس أثناسيوس تحقّق غاية التجسُّد كله: فالمسيح تجسَّد أصلاً لكي يعيد طبيعة الإنسان إلى عدم الفساد بالقيامة من الأموات. فمن المفاهيم الأساسية في فكر القديس أثناسيوس مفهوما الفساد φθόρα، وعدم الفساد ἀφθαρσία.

والفساد من طبيعة جميع المخلوقات، وعدم الفساد من طبيعة الله وحده. فكل ما هو مخلوق من العدم فاسد بطبعه أي عنده ميل طبيعي للعودة تدريجياً إلى العدم الذي جُذب منه[1].

وإن كان آدم قد نال في الفردوس – قبل أن يُخطىء – شيئاً من عدم الفساد الذي من طبيعة الله، فلم يكن ذلك إلاَّ بفضل شركته في الكلمة[2] اللوغس المحيي غير الفاسد بطبعه. فلمَّا أخطأ آدم وفصل نفسه بإرادته عن هذه الشركة الحية، للوقت عاد إلى طبيعته الأصلية

(١) تجسُّد الكلمة ٤:٦.

(٢) شرحه ٥:١و٢.

التي هي الفساد(٣) ، ولم يكن سبيلٌ لتجديده ولإعادته إلى عدم الفساد إلاّ بأن يأتي اللوغس نفسه، الذي له وحده عدم الفساد، ويتحد بجسد الإنسان الفاسد ويُظهر فيه عدم الفساد بالقيامة من الأموات(٤). لذلك فقيامة المسيح حققت الغاية من تجسُّده، لأن قيامتنا التي نبعت من قيامته كانت هي "**السبب الأول الذي من أجله تأنس المخلِّص**"(٥):

[إن الإنسان لمّا صار فيه قد استعاد الحياة، فإنه لأجل هذه الغاية بالذات قد اتحد الكلمة بالإنسان!](٦)

[لقد كان الرب مهتماً بصفة خاصة بقيامة جسده التي كان مزمعاً ان يكمِّلها. لأنه كان يريد أن يقدِّمها كدليل على غلبته على الموت، وليؤكد للجميع أنه أزال كل أثر للفساد، وأنه بالتالي أعطى أجسادهم عدم الفساد من ذلك الحين. ولهذا حفظ جسده غير فاسد كضمان وبرهان على القيامة التي تنتظر الجميع.](٧)

والقيامة هي النتيجة الحتمية للتجسُّد الإلهي، لأنه إذا كان الجسد المائت بطبعه قد صار جسداً لمن هو "الحياة"، تكون النتيجة الحتمية لذلك أن يقوم الجسد إلى عدم موت بفعل الحياة التي اتحد بها:

[كان لائقاً جداً أن يلبس المخلِّص جسداً حتى إذا ما اتحد

---

(٣) شرحه ٤:٤.

(٤) شرحه ٤:٧و٥، ٤:٨.

(٥) شرحه ١٠:٥و٦.

(٦) تفسير: «كل شيء قد دُفع إليَّ من أبي» (مت ١٨:٢٨) NPNF IV: 88

(٧) شرحه ٤:٢٢.

الجسد "بالحياة" لا يبقى في الموت كمائت، بل يقوم إلى عدم موت إذ لبس عدم الموت. وما دام قد لبس الفساد سابقاً، لم يكن ممكناً أن يقوم ثانيةً ما لم يكن قد لبس الحياة.](٨)

ولكي نتعمَّق فكر القديس أثناسيوس بخصوص قيامة الرب وأثرها فينا، ينبغي أن نعرف أن "عدم الفساد" الذي قصد الرب أن يعيده إلينا بفعل قيامته إنما يشمل مفهومين:

- عدم الفساد الجسدي: أي الغلبة على الموت.
- عدم الفساد الخلقي: أي الغلبة على الخطية.

وابتداءً من هنا تصير كلمات القديس أثناسيوس بخصوص القيامة عملية للغاية. فهو سيبيِّن لنا إلى أي مدى تؤثر قيامة الرب في صميم أخلاق المؤمنين به حتى إنهم يصيرون لا يهابون الموت، بل يُقبلون عليه بلا خوف بعد أن كانوا يرتعبون منه، فيصيرون بذلك شهوداً لقيامة الرب وغلبته على الموت، ثم إلى أي مدى تتغير حياتهم السلوكية من الانحلال الخلقي إلى الطهارة والقداسة بفعل نعمة الحياة الجديدة التي انتقلت إليهم من قيامة الرب.

نتائج القيامة فينا:

أ – عدم الخوف من الموت:

يقول القديس بولس الرسول إن غاية المسيح من تجسُّده واشتراكه في اللحم والدم هي: «لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت

---

(٨) شرحه ٤٤: ٦.

أي إبليس ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (عب ٢: ١٤و١٥). والقديس أثناسيوس يسلك في نفس الخط الفكري. فقد وجدناه يقول: إن غاية التجسُّد هي أن يبطل المسيح بموته الفساد والموت ويجعلنا بقيامته نَلبس عدم الفساد وعدم الموت(٩). والدليل على أن المسيح قد نجح في ذلك هو أن كل مَنْ يؤمن بالمسيح إيماناً صادقاً ينال منه قوة لاحتقار الموت وللتغلُّب على الفساد:

[فإن كان كل تلاميذ المسيح يحتقرون الموت ويتحدُّونه ولا يعودون بعد يخشونه بل بعلامة الصليب والإيمان بالمسيح يدوسونه كميت، كان هذا برهاناً غير يسير بل بالحري بيِّنة واضحة على أن الموت قد أُبيد، وأن الصليب صار نصرة على الموت وأنه لم يعد للموت سلطان بل قد مات موتاً حقيقياً.

فقديماً، قبل الظهور الإلهي للمخلِّص، كان الموت مرعباً حتى للقديسين، وكان الكل ينوحون على الأموات كأنهم هلكوا. أمَّا الآن، **وقد أقام المخلِّص جسده**، فلم يعد الموت مرعباً بعد، لأن كل الذين يؤمنون بالمسيح يدوسون الموت كأنه لا شيء ويفضِّلون أن يموتوا عن أن ينكروا إيمانهم بالمسيح. لأنهم يعلمون يقيناً أنهم عندما يموتون لا يهلكون بل يبدأون الحياة

---

(٩) من أكثر الآيات التي يكررها القديس أثناسيوس في حديثه عن القيامة: «إن الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت ... فيحتئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة» (١كو ١٥: ٥٣و٥٤). انظر تجسُّد الكلمة ٢: ٢١ والرسائل الفصحية ٦: ٤، ١١: ١٤ والرسالة ٥٩: ٦.

فعلاً ويصبحون عديمي الفساد بفضل القيامة. أمَّا ذلك الشيطان الذي بخبثه فرح بالموت قديماً، فإنه الآن إذ انحلت أوجاعه قد بقي هو الوحيد الميت موتاً حقيقياً، والدليل على ذلك أن البشر قبل أن يؤمنوا بالمسيح يرون الموت مفزعاً ومرعباً ويجبنون أمامه. ولكنهم عندما ينتقلون إلى إيمان المسيح وتعاليمه فإنهم يحتقرون الموت احتقاراً عظيماً لدرجة أنهم يسارعون إليه ويصيرون شهوداً للقيامة التي انتصر بها المخلِّص عليه، وبينما تراهم لا يزالون في عنفوان الشباب إذا بهم يسارعون إلى الموت، لا الرجال فقط، بل النساء أيضاً، ويمرنون أنفسهم للجهاد ضده. وقد وصل الضعف بالشيطان حتى أن النساء أنفسهن اللواتي قد خُدعن قديماً يهزأن به الآن كميت ومنحل القوى. فكما أنه عندما يُغلب الظالم أمام ملك حقيقي وتوثق يداه ورجلاه يصبح هزأة لدى كل مَنْ يمر به ويُحتقر ويزدرى به ولا يعود أحد يخشى غضبه أو وحشيته بسبب الملك الذي ظفر به، كذلك الموت أيضاً إذ قهره المخلِّص وشهَّر به على الصليب وأوثق يديه ورجليه، فإن كل الذين في المسيح يدوسونه إذ يمرون به، ويهزأون به شاهدين للمسيح ويسخرون منه مرددين ما قيل عنه في القديم: «أين غلبتك يا موت، أين شوكتك يا هاوية» (١كو ١٥:٥٥).](١٠)

[فإن كان الشبَّان والشابات في المسيح يحتقرون هذه الحياة

(١٠) تجسُّد الكلمة ٢٧ كله.

ويرحِّبون بالموت، فهل هذا برهان هيِّن على ضعف الموت؟ أم هذا إيضاح ضئيل للنصرة التي نالها المخلِّص عليه؟ فالإنسان بطبيعته يرهب الموت ويفزع من انحلال الجسد. ولكن المدهش جداً أن مَنْ يتقلَّد الإيمان بالصليب (والقيامة) يحتقر ما هو مفزع بالطبيعة، ولا يرهب الموت بسبب المسيح.](١١)

[لأنه عندما يرى المرء أن البشر الضعفاء بطبيعتهم يصارعون الموت ويتهافتون عليه دون أن يخشوا عوامله المفسدة أو أن ينزعجوا من النزول إلى الهاوية، بل يتحدُّونه بحماس دون أن يجزعوا من التعذيب، بل بالعكس يصارعون الموت مفضلينه عن الحياة عن الأرض ... **فمن هو ذلك الغبي المتشكك أو عديم العقل الذي لا يرى ولا يدرك أن المسيح الذي يشهد له البشر هو الذي يعضدهم بنفسه، ويهب لكل واحد النصرة على الموت**، ملاشياً كل قواته في كل مَنْ يتمسَّك بإيمانه ويحمل علامة الصليب.](١٢)

إذاً، فهذا التعضيد السري الذي يناله المؤمنون من الرب هو أعظم دليل على أنه حيٌّ وفعَّال الآن، وبالتالي فهو أعظم برهان على صحة قيامته:
[إذاً، فما قررناه إلى الآن ليس برهاناً هيناً على أن الموت قد أُبطل ... **وهكذا نرى أن قيامة الجسد إلى عدم الموت التي حققها المسيح مخلِّص الجميع وحياة الجميع، يكون إثباتها**

(١١) شرحه ٢٨: ١و٢.
(١٢) شرحه ٢٩: ٤.

بالوقائع أكثر وضوحاً من إثباتها بالحجج والبراهين.][١٣]

والحقيقة أن القديس أثناسيوس يدعونا بهذا القول إلى وقفة لنراجع نفوسنا. لأنه إذا كان الكثيرون قد بدأوا يشكون اليوم (وعلى الأخص من علماء اللاهوت المحدثين) في حقيقة قيامة الرب أليس السبب في ذلك هو ضعف حياتنا المسيحية؟ فالقديس أثناسيوس يقول بكل وضوح: إن قيامة الرب يتأتّى إثباتها الأقوى "بالوقائع أكثر من الحجج والبراهين" أي من واقع حياة المسيحيين وسلوكهم حينما تظهر فيهم إشراقة الحياة الجديدة التي أظهرها المسيح بقيامته من الأموات.

فالشهادة لقيامة المسيح تكون بالسلوك في هذه الحياة الجديدة التي يدعوها الإنجيل: «الولادة من فوق» (يو ٣:٣) أو الولادة الثانية: «مبارك الله ... الذي ولدنا ثانية ... بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ٣:١)، وهذا ينقلنا إلى تقديم أقوال القديس أثناسيوس الرسولي بخصوص النتيجة الثانية لقيامة الرب فينا:

ب – التغلُّب على الخطية

أي السلوك على مستوى الحياة الجديدة التي أظهرها الرب بقيامته:

يعود القديس أثناسيوس عدة مرات إلى تأكيد هذه الحقيقة الأساسية وهي أن حياة المسيحيين الفائقة الطبيعة هي أوضح برهان وشهادة على قيامة الرب ولاهوته:

[على أن هذه البراهين التي قدمناها (على قيامة المخلِّص

---

(١٣) شرحه ١:٣٠.

ولاهوته) لا تستند إلى مجرد حجج كلامية ولكن هنالك اختبارات عملية تشهد لصحتها: فليذهب من أراد ويعاين دليل العفة في عذارى المسيح، والشبان الذين يعيشون حياة العفة المقدَّسة، أو دليل الثقة في الخلود في ذلك العدد الجم من شهدائه.](١٤)

[لأنه إن كان الإنسان الميت تبطل قواه وينتهي نفوذه وسلطانه عند القبر، وإن كانت القدرة على العمل والتأثير على الآخرين لا تخص إلاَّ الأحياء، فلينظر كل مَنْ أراد وليحكم شاهداً للحق مما يبدو أمام عينيه: لأنه إن كان المخلِّص يعمل الآن أعمالاً عظيمة كهذه بين البشر ولا يزال كل يوم بكيفية غير منظورة يقنع الجماهير العديدة من كل ناحية، سواء من سكان اليونان أو البلاد الغربية، ليقبلوا إلى إيمانه ويطيع الجميع تعاليمه، فهل لا يزال يوجد مَنْ يتطرق الشك إلى عقله أن القيامة قد أتمَّها المخلِّص أو أن المسيح حي أو بالحري أنه هو نفسه الحياة؟ وهل يُتاح لشخص ميت أن ينخس ضمائر البشر فيثوروا ضد نواميسهم الموروثة ويخضعوا لتعاليم المسيح؟ وإن كان المسيح لم يعد بعد فاعلاً متحركاً بل له خواص الأموات فهل يستطيع أن يصدَّ الأحياء عن حركاتهم وأعمالهم حتى يكف الزاني عن الزنى والقاتل عن القتل والظالم عن الظلم والاغتصاب وحتى يصبح الدَنِسُ فيما بعد متديناً؟ أو كيف يستطيع لو أنه لم يقم

(١٤) شرحه ٤٨: ١و٢.

بل لا يزال ميتاً – أن يطرد ويطارد ويحطم تلك الآلهة الكاذبة التي يدَّعي الملحدون أنها حية والأرواح الخبيثة التي يعبدونها؟][15]

[فمن ذا الذي بموته طرد الشياطين قط؟ ومَنْ ذا الذي خلَّص البشر من شهوات وضعفات الإنسان الطبيعية حتى صار الفجَّار عفيفين والقتلة لا يحملون السيف فيما بعد والذين تملَّكهم الجبن والخوف قديماً تشجَّعوا؟ وبالإيجاز مَنْ ذا الذي أقنع البشر في البلاد الهمجية وجماعة الوثنيين ليتخلُّوا عن جنونهم ويعملوا للسلام غير الإيمان بالمسيح وعلامة الصليب؟ أو مَنْ ذا الذي أكد للبشر حقيقة الخلود كما فعل صليب المسيح وقيامته بالجسد؟][16]

فكل هذه الأفعال العظيمة التي يعملها المخلِّص في البشر بقوة قيامته هي دليل قاطع على أنه قائم الآن وحي وفعَّال. وأمَّا قيامة الرب فهي دليل قاطع على لاهوته. فكما يقول القديس بولس الرسول إن المسيح «تعيَّن ابن الله بقوة بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤)، هكذا يستخلص القديس أثناسيوس أيضاً من قيامة الرب برهان لاهوته[17].

وأخيراً نستطيع أن نلخِّص فكر القديس أثناسيوس بخصوص القيامة وكأنه يتساءل:

---

(١٥) شرحه ٣٠: ٣-٥.

(١٦) شرحه ٥٠: ٤و٥.

(١٧) شرحه ١٩: ٣، ٥٠: ٦.

ما هو أعظم دليل على لاهوت المخلّص؟ إنه قيامته ...

وما هو أعظم دليل على قيامته؟ إنه حي وفعّال في حياة المؤمنين، إنه يجعلهم لا يهابون الموت، إنه يعضدهم تعضيداً سرياً حتى يسلِّموا نفوسهم للاستشهاد دون أن يجزعوا من التعذيب، إنه يجدد حياتهم ويغيِّر صفاتهم حتى يصير الدنِس فيما بعد متديناً والقاتل لا يحمل السيف والشبان يعيشون في القداسة والأمم الهمجية تتخلّى عن جنونها وتعمل للسلام.

ثانياً – في تعليم القديس كيرلس الكبير

لقد رأينا القديس أثناسيوس يركز اهتمامه الأكبر بخصوص قيامة الرب على إظهار مفاعيل قوة قيامته فينا كدليل على لاهوته، وذلك لأن اهتمامه الأساسي في جميع كتاباته كان أن يثبت لاهوت المسيح تجاه كل مَنْ ينكره من الوثنيين والأريوسيين.

أمَّا القديس كيرلس فقد كان اهتمامه الأساسي طوال حياته أن يدافع عن عقيدة الاتحاد الأقنومي، أي وحدة لاهوت المسيح بناسوته. وهذا الاهتمام قد جعله يعتبر باستمرار في جميع مراحل حياة الرب وموته وقيامته وصعوده أنه كان لنا وجود سري فيه من خلال ناسوته المقدَّس الذي كان يمثل بنوع ما كل جنس البشرية أو بالحري الذي

كان يحملنا جميعاً فيه سرّاً[18]:

[إنه قام حاملاً في نفسه كل طبيعتنا من حيث أنه كان إنساناً وواحداً منّا.][19]

[**نحن جميعاً كنّا في المسيح والشخصية البشرية في عموميتها قامت فيه من جديد.**][20]

[لذلك فالموت لمّا ابتلع الحمل المبذول من أجل الجميع اضطر أن يتقيأ الجميع معه وفيه. **فإننا جميعاً كنّا في المسيح الذي من أجلنا وبسببنا مات وقام أيضاً.**][21]

[إنه يحوي جميع المؤمنين في ذاته في وحدة روحية وإلاّ فكيف كان يمكن لبولس أن يكتب قائلاً إنه أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات؟ ... فمنذ أن جعل نفسه مثلنا صرنا نحن ذوي جسد واحد معه σύσσωμοι **وصار هو يحملنا كلنا في نفسه** ... فلمّا رجع الرب إلى الحياة وقدّم نفسه لله كباكورة للبشرية

(١٨) لم يكن القديس كيرلس أول مَنْ تكلّم عن وجودنا السرّي في شخص المسيح، فقد سبقه في ذلك القديس أثناسيوس كما سنرى حينما نعرض أقواله عن صعود الرب من أجلنا إذ يقول صراحة إنه من أجلنا "نحن الذين كان يحملنا في جسده" (تجسُّد الكلمة ٢٥:٦). ومن البيِّن أن أول مَنْ أُوحيت إليه هذه الحقيقة هو القديس بولس الرسول حيث يقول: إن الله «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» (أف ٢:٦)، غير أن القديس كيرلس هو بلا شك أكثر مَنْ بلور هذه الفكرة وعمَّمها على جميع مراحل حياة الرب.

(١٩) تفسير يوحنا ٣٩:٧.

(٢٠) شرحه ١٤:١.

(٢١) شرحه ٢٩:١.

حينئذ بكل تأكيد تحوّلنا نحن أيضاً إلى حياة جديدة.](٢٢)

[مع كونه هو الحياة بطبعه فقد مات بالجسد من أجلنا لكي يغلب الموت من أجلنا ويقيم الطبيعة البشرية كلها معه. **لأننا جميعاً كنّا فيه بسبب أنه صار إنساناً.**](٢٣)

فالمسيح لم يقم من أجل نفسه هو باعتباره الإله الكلمة الأزلي، بل قام بالجسد من أجلنا نحن الذين كنّا محمولين في هذا الجسد أو على الأقل متصلين به اتصالاً سرياً.

والقديس كيرلس يعود باستمرار إلى تأكيد هذه الحقيقة: أن الرب قام ليقيمنا نحن فيه:

[إن المسيح لمّا استعاد الحياة ناقضاً سلطان الموت لم يكمِّل قيامته من أجل نفسه هو، إذ أنه هو في ذاته الكلمة الإله، ولكن حيث أن طبيعة الإنسان كانت بكاملها في المسيح مقيَّدة بسلاسل الموت، لذلك قام ليمنحنا بركة القيامة من خلال نفسه وفي نفسه.](٢٤)

[قد عرفتني سُبُل الحياة: هذا القول يعلمنا إن الذي صار مثلنا واقتنى شخصية البشرية τὸ πρόσωπον τῆς ἀνθρωπότητος ينطق بأقوال تناسب حالنا نحن ولا تناسب حاله هو باعتباره إلهاً. ففي

---

(٢٢) جلافير على العدد PG 69:624,625

(٢٣) تفسير يوحنا ١:٣٢و٣٣، وانظر أيضاً تفسير يوحنا ٦:٥١. الذي سوف نورده صفحة ٨٠ وهامش ٣٨.

(٢٤) تفسير يوحنا ١٧:٢٤.

حديثه كمن يتكلّم عن نفسه باعتباره بدء البشرية الجديدة، هو في الواقع يستدعي علينا نحن شركة الخيرات السماوية. لأنه بقوله إنها أُعطيت له هو في الواقع يقدِّمها للطبيعة البشرية. وبهذه الكيفية قد اغتنينا نحن بافتقاره كإنسان.](٢٥)

والقيامة هي غاية التجسُّد الأساسية(٢٦):

[ولهذه الغاية اقتنى كلمة الله المحيي جسداً خاصاً له وجعله خاضعاً للموت، حتى إذ يظهره غالباً للموت والفساد يجعل بذلك النعمة تنتقل إلينا نحن أيضاً، لأنه كما أننا في آدم قد خضعنا للموت هكذا أيضاً في المسيح تحررنا من طغيانه وتشكلنا من جديد بصورة الخلود.](٢٧)

[**فقد لبس جسدنا لكي يقيمه من الموت** ويفتح أمام الجسد الذي استسلم للموت طريق العودة إلى عدم الفساد.](٢٨)

[فقد اقتنى لنفسه جسداً قابلاً للفساد بحسب طبعه الخاص، لكي يستطيع بكونه هو نفسه الحياة أن يزرع في الجسد امتيازه الخاص الذي هو الحياة.](٢٩)

ومن هذا القول يتضح أن القيامة جاءت كنتيجة مباشرة وحتمية

---

(٢٥) تفسير أعمال الرسل ٢٨:٢ PG 74:761

(٢٦) وفي ذلك يتفق القديس كيرلس مع القديس أثناسيوس.

(٢٧) الكتاب الثاني ضد تيودور ٣ LFC, p. 338

(٢٨) تفسير لوقا ١٩:٢٢.

(٢٩) المسيح واحد PG 75:1352

للاتحاد الأقنومي أي للاتحاد الذي تم في المسيح بين جسدنا "الفاسد بحسب طبعه الخاص"، وبين اللوغس "الذي هو نفسه الحياة". فهذا الاتحاد الفائق أنتج بالضرورة القيامة، لأنه كان لا بد من أن يموت هذا الجسد وفقاً لطبعه الخاص، ثم كان لا بد أيضاً من أن يقوم من جديد لحياة جديدة لا يسود عليها الموت بعد، لأنه كان جسداً للكلمة الذي هو نفسه الحياة:

[فإن الجسد قد خضع لنواميس طبيعته الخاصة وقَبِل مذاقة الموت من أجل التدبير بسماح من اللوغس المتحد به، غير أنه استعاد الحياة بفعل القوة المحيية التي للوغس المتحد به أقنومياً.](٣٠)

وهكذا تظهر القيامة كنتيجة مباشرة للاتحاد الأقنومي، أو يمكن القول إنها كانت قوة مذخرة في المسيح منذ لحظة تجسُّده، بسبب الاتحاد الكامل الذي تمَّ فيه بين العنصر الفاسد بطبعه (أي الجسد)، والعنصر الحي والمحيي بطبعه (أي اللوغس). وهذا هو ما يقرره القديس كيرلس في تفسيره للآية يو ١٤:١ : «والكلمة صار جسداً»، إذ يقول إننا نرى في شقَّي هذه الآية (أي الجسد والكلمة):

[ما(٣١) قد سقط في الموت والذي أقامه من جديد إلى الحياة،
ما قد وقع تحت الفساد والذي طرد عنه الفساد،

(٣٠) ضد نسطور ٥:٦.

(٣١) ويُلاحظ في هذا القول أن القديس كيرلس يحرص أن لا يُدخل ثنائية في شخصية المسيح فهو يشير إلى الجسد بأنه «ما ...» وليس «الذي ...» مبيناً بذلك أن الكلمة اقتنى لنفسه ناسوتاً و لم يقتن لنفسه إنساناً له شخصية مغايرة له كما كان يدَّعي نسطور.

مـــا قد أُمسك في الموت والذي هو أقوى من الموت،
ما قد حُرم مـن الحياة والـذي هـو معطـي الحيـاة!](٣٢)

لذلـك، فنتيجـة الاتحـاد الأقنومـي الأساسية هـي أن تنتقـل الحيـاة مـن اللوغس إلى الجسـد، أي إلينـا نحن الذيـن كنـا ممثّلين في هـذا الجسـد:

[وحيـث أن الابـن الوحيـد كلمـة الله الـذي هـو بطبعـه الحيـاة قـد صار جسداً، لذلـك فقـد امتـلأت طبيعـة الإنسـان مـن جديـد بالحيـاة وهكـذا صـار المسيح متقدِّمـاً لنـا في كـل شـيء ... لأنـه كمـا أننـا في آدم قـد خضعنـا للمـوت، هكـذا أيضـاً في المسـيح تحررنـا مـن طغيانـه.](٣٣)

[فيـه قـد عـادت طبيعـة الإنسـان إلى حيـاة جديـدة في التقديـس وعـدم الفسـاد بالقيامـة مـن الأمـوات. وهكـذا قـد أُبيـد المـوت إذ لم يحتمـل الحيـاة بطبعـه – أي اللوغـس – أن يُخضـع جسـده للفسـاد لأن المسيح لم يكـن ممكنـاً أن يمسـك مـن المـوت بحسـب كلمـات بطرس الإلهيـة. وهكـذا انتقلـت منـه إلينـا بركـات هـذا النصـر.](٣٤)

[واحتمـل المـوت تدبيريـاً في جسـده الخـاص حتـى يـدوس المـوت ويقـوم بصفتـه هـو الحيـاة ومعطـي الحيـاة، فيتمكـن بذلـك أن يحـوِّل إلى عـدم فسـاد مـا كـان معذبـاً تحت سـطوة الموت أعـني الجسـد. وهكـذا فـاضت منـه إلينـا قـوة مـا أكملـه في نفسـه وامتـدت منـه إلى

(٣٢) تفسير يوحنا ١:١٤ PG 73:160
(٣٣) الكتاب الثاني ضد تيودور ٣ LFC, p. 338
(٣٤) المسيح واحد PG 75:1353

سائر جنسنا.](٣٥)

[لقد تغيَّر الأموات، وجسدهم الفاسد قد لبس عدم فساد، لمَّا صار المسيح مشابهاً لنا وغيَّر المائت إلى عدم موت والفاسد إلى عدم فساد، وذلك في نفسه هو أولاً، وبذلك صار لنا نحن أيضاً طريقاً للحياة.](٣٦)

ويظهر من هذه الأقوال أن القديس كيرلس يتفق مع القديس أثناسيوس في اعتبار القيامة في جوهرها **انتقالاً من حالة "الفساد" الخاصة بطبيعة الإنسان إلى حالة "عدم الفساد"** التي هي أصلاً من طبيعة الله وحده.

ولكن ما هو الذي يقصده الآباء من الفساد وعدم الفساد؟

هل المقصود من الفساد هو مجرد تحلل أعضاء الجسد وعودتها إلى تراب الأرض الذي أُخذت منه؟

وهل عدم الفساد هو مجرد استمرار الحياة الجسدية؟ أم أن لهما معنىً أكثر شمولاً؟

الحقيقة أن مفهوم الفساد وعدم الفساد عند الآباء عموماً وعلى الأخص عند القديس كيرلس لا يختص فقط بالموت الجسدي والحياة الجسدية، ولكن له معنىً أغنى وأعمق يختص بالحياة الروحية أي

---

(٣٥) ضد نسطور ١:٥ PG 76:212-213

(٣٦) عن الإيمان القويم إلى الأميرات PG 76:1281-1284

بالخطية والبر(٣٧). والقديس كيرلس نفسه يقول في إحدى عظاته:

[إن الموت الجديد بأن يُدعى بهذا الاسم ليس هو الموت الحادث من انفصال النفس عن الجسد بل هو بالحري الحادث **من انفصال النفس عن الله.** الله هو الحياة فمَنْ ينفصل عن الحياة فهو الميت حقاً.](٣٨)

وعلى ذلك فنعمة القيامة التي ننالها من قيامة الرب لا تنحصر في استعادة حياة الجسد بعودة النفس إليه بل تمتد أيضاً إلى مستوى روحي أعلى بالقيامة الروحية لحياة جديدة بحسب الروح.

وكثيراً ما يكرر القديس كيرلس أن قيامة الرب أثّرت على البشرية على مستويين:

الأول: عام يدرك جميع الناس بلا استثناء بقيامة أجسادهم في اليوم الأخير.

الثاني: خاص للذين يقبلونه وهو القيامة الروحية لجدة الحياة:

[إننا نعتقد أن السر الحاصل بقيامة المسيح يمتد ويدرك جميع طبيعة الإنسان. فنحن نؤمن أن طبيعتنا كلها – فيه هو أولاً – قد انعتقت من الفساد، لأن الجميع سيقومون على مثال ذلك

---

(٣٧) انظر:

J. Burghardt, *The Image of God in Man Accord. to Cyril of Alex.* p. 99.

(٣٨) عظة ١٤ PG 77:1088-1089 ولا شك أن هذا المفهوم الروحي للموت له أساس كتابي بحسب رؤ ٣ :١: «إن لك اسماً أنك حي وأنت ميت»، «وأمَّا المتنعمة فقد ماتت وهي حيَّة.» (١تي ٥:٦)

الذي أُقيم لأجلنا، وهو حامل الجميع في نفسه من حيث أنه إنسان. وكما أننا سقطنا جميعاً في الموت في الإنسان الأول (آدم)، هكذا أيضاً سيقوم الجميع في الذي صار بكراً لنا، ولكن الذين صنعوا الخير إلى قيامة الحياة كما هو مكتوب، والذين صنعوا الشر إلى قيامة الدينونة. وأنا أؤكد أن القيامة للعذاب هي أصعب وأقسى من الموت نفسه.](٣٩)

فنعمة القيامة تنتقل إلى الجميع بقيامة أجسادهم سواء شاءوا أم لم يشاءوا بفعل التغيير الجذري الذي أجراه الرب في صميم طبيعتنا لمّا قام بالجسد حاملاً طبيعتنا بكاملها في هذا الجسد، غير أن الذين لا يتجاوبون مع نعمة القيامة منذ الآن تجاوباً روحياً ولا يسلكون في "جدة الحياة" التي قدمها لنا المسيح بقيامته، إنما يحولون نعمة القيامة لهلاك نفوسهم فتصير لهم أقسى من الموت نفسه:

[إن القيامة أدركت جميع الناس من خلال قيامة المخلّص الذي تسبب في إقامة طبيعة الإنسان بشمولها معه غير أنها لن تفيد شيئاً لأولئك الذين يحبون الإثم ...](٤٠)

ويعود القديس في موضع آخر إلى التمييز بين نوعين من القيامة أو نوعين من الحياة:

[الرب يقول: قد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم **أفضل**. لأنه بالإضافة إلى استعادة الحياة (بعد الموت) ينال المؤمنون به رجاء

(٣٩) تفسير يوحنا ٦:٥١ PG 73:568

(٤٠) تفسير يوحنا ١٠:١٥ PG 73:1048A انظر أيضاً تفسير يوحنا ٣:٣٦؛ ١٠:١٠.

جميع الخيرات الصالحة. وغالباً ما تشير كلمة «**أفضـــــل**» إلى ذلك النـوع الفـائق مـن الحيـاة الأوفـر والأكـرم، وفي هـذا إشـارة ضمنيـة إلى المشـاركة الكاملـة في الـروح القـدس ولـو بأسـلوب سـري جـداً. لأن استعادة الحيـاة (الجسـدية) سـتكون عامـة للقديسـين والخطـاة كليهمـا، ولكـن المشـاركة في الـروح القـدس لـن تكـون عامـة للجميـع لأنهـا هـي الحيـاة «الأفضـل» أي الـتي تفـوق مـا هـو عـام للجميـع.](41)

هنـا يحـدد القديـس كـيرلس أن النـوع الفـائق مـن الحيـاة المعطـى لنـا بقيامـة الـرب إنمـا هـو بـالذات المشـاركة في الـروح القـدس، وسـنعود إلى هـذه النقطـة بعـد قليـل. ولكـن مـا يهمنـا أن نلاحظـه الآن هـو تـأكيد القديـس كـيرلس علـى أن قيامـة الـرب صـارت لنـا ينبوعـاً لحيـاة مـن نـوع جديـد علـى مستوى الـروح. وهـو في ذلـك يستند إلى قـول القديـس بولـس الرسـول: «حتى كما أُقيـم المسـيح مـن الأمـوات بمجـد الآب هكـذا نسـلك نحـن أيضـاً في جـدَّة الحيـاة» (رو ٦: ٤). ويقـول في تفسـير هـذه الآيـة:

[لا بـد أننـا نحـن الذيـن دُفنّـا مـع الـرب (في المعموديـة) نقـوم أيضـاً معـه روحيـاً. فـإن كـان الاشـتراك في الدفـن معـه معنـاه المـوت عـن الخطيـة، فمـن أوضـح مـا يمكـن أن الاشـتراك في القيامـة معـه يعـني بـالضرورة **الحيـاة في الـبر**.](42)

[لقـد تبرَّرنـا بالإيمـان بالمسيح الـذي أُسـلم لأجـل خطايانـا وأُقيـم

(٤١) تفسير يوحنا ١٠: ١٠: «أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» PG 73:1032

(٤٢) تفسير رومية ٦: ٣ PG 74:793A

لأجـل تبريرنـا لأن فيـه بصفتـه بـاكورة جنسـنا قـد أُعيـد تشـكيل طبيعـة الإنسـان كلهـا إلى **حيـاة جديـدة** حتـى أنهـا تطَبَّعـت مـن جديـد بطبـع القداسـة.][43]

[فيـه قـد عـادت طبيعـة الإنسـان إلى **حيـاة جديـدة** في التقديـس وعـدم الفسـاد بالقيامـة مـن الأمـوات.][44]

[لمَّا رجـع الـرب إلى الحيـاة وقـدَّم نفسـه لله كبـاكورة للبشـرية، حينئذ بكل تـأكيد تحوَّلنـا نحـن أيضـاً إلى **حيـاة جديـدة**.][45]

والآن أكـثر مـا يهمنـا هـو أن نتعرَّف على معـالم هـذه الحيـاة الجديـدة المعطاة لنا بقيامـة الـرب حتـى نسـتطيع أن نقبلهـا ونتفـاعل معهـا روحيـاً.

المفاعيل الروحيـة لقيامـة الرب فينـا:

هـذه الحيـاة الجديـدة في رأي القديـس كـيرلس هـي في جوهرهـا علاقـة حيـة بالثـالوث، حتـى أنـه يمكننـا أن نلخـص فكـر القديـس بخصـوص المفـاعيل الروحيـة لقيامـة الـرب فينـا في أنهـا تـتركز في إدخالنـا في علاقـة حية مع كـل مـن الآب والابـن والـروح القـدس:

- فالقيامـة تمنحنـا الـروح القـدس.
- والقيامـة تشـكِّلنا علـى صـورة الابـن.
- والقيامـة تُرجعنـا إلى الآب بـالتبني.

---

(٤٣) تفسير يوحنا ١٧:١٨و١٩ PG 74:545C

(٤٤) المسيح واحد PG 75:1353

(٤٥) جلافير على العدد PG 69:624,625

أ – القيامة تمنحنا الروح القـــدس:

مـن المـألوف لـدى القديـس كـيرلس أن يقـارن بـين الخلقـة الأولى للإنسان التي تمـت بـأن نفـخ الله فيـه «نسـمة حيـاة» وبـين الخليقـة الجديـدة التي أكملها لنا الـرب بقيامتـه وسـلمها لنـا لمّـا نفـخ في وجـه تلاميـذه قـائلاً: «اقبلوا الـروح القـدس». (٤٦)

فـالروح القـدس فينـا هـو روح الخليقـة الجديـدة، هـو روح الحيـاة الجديـدة الـتي أسسـها الـرب مـن أجلنـا بقيامـة جسـده ونقلهـا إلينـا لمّـا نفـخ قـائلاً: «اقبلـوا الـروح القـدس»، والقديـس كـيرلس يدعـوه: "روح التجديـد"(٤٧):

[لقـد وُهـب لنـا روح التجديـد أي الـروح القـدس ينبـوع الحيـاة الأبديـة، بعـد أن تمجَّـد المسـيح أي بعـد قيامتـه إذ نقـض أوجـاع المـوت وأظهـر نفسـه فائقـاً لكـل فسـاد وعـاش حيـاة جديـدة حـاملاً في نفسـه كـل طبيعتنـا ... فلمـاذا لم ينسـكب الـروح قبـل القيامـة بل بعدها؟ لأن المسـيح قـد صـار بـاكورة الطبيعـة المتجـددة لمّـا عـاش من جديد ناقضـاً أوجـاع المـوت ... فكيـف كـان يمكـن قبـل ظهـور

---

(٤٦) اقرأ مثلاً تفسير إنجيل يوحنا ٢٠:٢٢. وقد صدرت ترجمة عربيـة لتفسير الأصحاح العشرين من هذا الإنجيل ترجمة د. جورج حبيب بباوي (مجلة مرقس مايو ١٩٧٦).

ويعود القديس كيرلس مراراً كثيرة إلى المقارنة بين تك ٢:٧ ويو ٢٠:٢٢. انظر مثلاً: في الثالوث ٤ PG 75:908، تفسير متى ٢٤:٥١ PG 72:445

(٤٧) وهو يتفق في ذلك مع ما جاء في رسائل القديس بولس الرسول:

+ «وتجديـد الـروح القـدس الـذي سـكبه علينا بغنـىً بيسـوع المسـيح.» (رو ٧:٦)

+ «نعبـد بجدّة الـروح لا بعتـق الحـرف.» (رو ٧:٦)

الباكورة أن تتجدَّد حياة الذين يتبعونه؟](٤٨)

ويستطرد قائلاً:

[لأنه كما أن النبات لا يمكن أن ينبت من الأرض قبل أن يتكوَّن أصله (جذره) أولاً، هكذا نحن أيضاً إذ صار الرب يسوع المسيح أصلاً لنا لعدم الفساد، لم يكن ممكناً أن ننبت قبل أصلنا.](٤٩)

أي لم يكن ممكناً أن ننال نعمة الخليقة الجديدة بالروح القدس قبل أن تتكون هذه الخليقة أولاً في المسيح بالقيامة من الأموات:

[ولكي يُظهر الرب أن زمان حلول الروح القدس علينا قد أقبل بعد قيامته من الأموات، لذلك نفخ في وجه تلاميذه قائلاً: اقبلوا الروح القدس.](٥٠)

وفي مواضع عديدة يقول إن الرسل القديسين، بصفتهم باكورة البشرية الجديدة، كانوا أول مَنْ نالوا نعمة الحياة الجديدة بالروح القدس لمَّا نفخ الرب في وجوههم مساء أحد القيامة قائلاً: «اقبلوا الروح القدس»(٥١).

---

(٤٨) تفسير يوحنا ٧:٣٩: «الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد» PG 73:756

(٤٩) شرحه.

(٥٠) شرحه.

(٥١) تفسير يوحنا ٧:٢٤و٣٩، ٢٠:٢٢، ١٢:١٦، في الثالوث ٦، تفسير يوئيل ٢:٢٨، تفسير متى ٢٤:٥١، تفسير لوقا ٥:٢٤ ... إلخ.

وأمَّا نحن فإننا ننال نفس هذه النعمة في المعمودية:

[فقد تجدَّدت أعماقنا إلى حالة أفضل بلا قياس وربحنا الولادة الجديدة من الروح الفائقة الصلاح إذ لم تعد لنا بعد الولادة الأُولى الجسدية أي التي للفساد والخطية بل الولادة الثانية الفوقانية التي من الله بالروح.][٥٢]

ومعروف أن هذه الولادة الثانية تتم فينا بفضل قيامة الرب من الأموات: «مبارك الله ... الذي ولدنا ثانية ... بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ١:٣)، ولذلك فالمعمودية التي تمنحنا الروح القدس هي في نفس الوقت شركة في موت الرب وقيامته.

يقول القديس كيرلس في شرحه لسفر الخروج ما معناه: إننا في المعمودية نشترك روحياً في موت المسيح وقيامته بحسب ما يقوله القديس بولس الرسول في (رو ٦:٤و٥)، وبفعل هذا الموت وهذه القيامة تتغيَّر صورتنا إلى صورة المسيح[٥٣].

وهذا ينقلنا إلى النقطة التالية من مفاعيل القيامة فينا:

ب – القيامة تُغيِّرنا إلى صورة المسيح:

هذه النقطة مبنية على سابقتها، لأن الروح الذي نأخذه بفعل قيامة الرب عمله الأساسي فينا هو أن يوحدنا بالمسيح فتتغيَّر صفاتنا الداخلية

---

(٥٢) تفسير يوئيل ٢:٢٨ PG 71:380B

(٥٣) جلافير على الخروج ٢ PG 69:441، انظر أيضاً ضد يوليانوس ٧ PG 76:880

إلى صفات المسيح(٥٤). يقول القديس كيرلس في تفسيره للآية يو ٢٠: ٢٢ «نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس»:

[إن الروح القدس يطبع شكل المخلِّص في نفوس الذين يقبلونه. والمسيح لا يمكن أن يتصوَّر في أحد إلاَّ بالمشاركة في الروح القدس وحياة مطابقة للإنجيل. ولهذه الغاية جعل المسيح روحه القدوس يحل في تلاميذه حتى يصيروا باكورة للخليقة الجديدة على صورة الله في المجد وعدم الفساد.](٥٥)

[حيث أن المسيح صار أصلاً وباكورة للذين يتغيَّرون بالروح القدس إلى حياة جديدة، فهو يشع منذ الآن في كل الجنس البشري عدم فساد الجسد والرسوخ والثبات المستمد من لاهوته. ولمّا علم ذلك بولس كتب قائلاً: كما لبسنا صورة الترابي ينبغي أن نلبس صورة السماوي.](٥٦)

[فلما ظهر آدم الثاني بيننا وهو الإله الذي من السماء الذي جاهد من أجل خلاص الجميع وربح بموته حياة جميع الناس وأبطل قوة الفساد وقام لحياة جديدة، حينئذ تغيرنا نحن أيضاً إلى صورته.](٥٧)

---

(٥٤) وأقوال القديس كيرلس بهذا المعنى كثيرة جداً حتى يصعب حصرها (انظر مجلة مرقس يوليو ١٩٧٧ صفحة ٤٤ ونوفمبر - ديسمبر ١٩٧٧ صفحة ١٣ - ١٥).

(٥٥) تفسير يوحنا ٢٠: ٢٢ PG 74:716

(٥٦) عن الإيمان القويم إلى ثيودوسيوس ٢٠: ٤ PG 76:1161-1164

(٥٧) تفسير يوحنا ١٩: ٤٢ PG 74:681

وفي تفسيره لقول القديس بولس الرسول: «وإن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته» (رو ٦: ٥)، يبيِّن أنه مع أن الفاعلية الكاملة لقيامة الرب لن تُعطى لنا إلاَّ في الحياة الأخرى حينما تقوم أجسادنا معه في المجد، إلاَّ أننا منذ الآن نستطيع أن نتحد روحياً بقيامته فننال منها قوة روحية لتغيير صفاتنا إلى صفاته المقدَّسة:

[إننا نصير متحدين معه بقيامته من وجهين: فإننا من جهة سنحيا مع المسيح بأن تعود أجسادنا إلى الحياة (في اليوم الأخير)، ومن جهة أخرى نحن نحيا معه (منذ الآن) حينما نقرِّب له نفوسنا فتتغيَّر صفاتنا الداخلية إلى القداسة لسيرة صالحة في الروح القدس.](٥٨)

ج ـ القيامة تجعلنا أبناء الآب السماوي بالتبني:

وهذه النقطة أيضاً متصلة بسابقتها لأنه حينما تغيرنا قوة القيامة إلى صورة المسيح حينئذ يرى الآب فينا صورة ابنه الحبيب فيحبنا نحن أيضاً كما يحبه هو ويعتبرنا أبناء له فيه.

يقول القديس كيرلس ذلك في تفسيره للآية يو ١٧: ٢٣: «وأنك أحببتهم كما أحببتني»:

[كما أننا في المسيح – الذي هو باكورة جنسنا – سنصير بل قد صرنا بالفعل منذ الآن مشابهين لصورة قيامته ومجده، هكذا قد صرنا مثله أيضاً محبوبين من الآب ... فإننا نصير محبوبين من

---

(٥٨) تفسير رومية ٦: ٥ PG 74:796A

الآب كأبناء له على قدر ما نشابه ذلك الذي هو في الواقع ابنه الوحيد بحسب الطبيعة.][59]

والقديس كيرلس يرى أن نعمة التبنّي قد أُعلنت للبشرية في صباح أحد القيامة لمّا قال الرب للمجدلية: قولي لإخوتي إني أصعد إلى أبي وأبيكم:

[إنه يدعونا إخوة ويدعو الله أباً مشتركاً له ولنا ... وكأن الابن قد مزج نفسه بنا ليمنَّ على طبيعتنا بالكرامة الخاصة به وحده حتى إنه يدعو الذي ولده أباً مشتركاً لنا جميعاً.][60]

[إن المولودين من الله يفوقون جميع مواليد النساء، لأن هؤلاء لهم آباء أرضيون وأمّا نحن فلنا الآب السماوي. لأننا قد نلنا هذا الامتياز أيضاً من المسيح الذي دعانا إلى التبنّي وإلى الأُخوَّة معه. **لأنه لمّا قام المسيح وسبى الجحيم، حينئذ أعطى روح التبنّي** للذين يؤمنون به وأولهم الرسل القديسون. لأنه نفخ في وجوههم قائلاً: «اقبلوا الروح القدس».][61]

ونريد أن نلاحظ هنا تأكيد القديس كيرلس على أن التبنّي قد صار لنا كنتيجة مباشرة لقيامة الرب. ويكرر نفس هذا القول في تفسيره لإنجيل متى:

[لمّا عاد المسيح إلى الحياة بعد أن سبى الجحيم حينئذ أُعطي

(٥٩) تفسير يوحنا ١٧: ٢٣و٢٤ PG 74:565C-568A

(٦٠) تفسير يوحنا ٢٠: ١٧ PG 74:700CD

(٦١) تفسير لوقا ٧: ٢٨.

روح التبني.](٦٢)

ويلاحظ أيضاً أنه ينسب نعمة التبنّي إلى الروح القدس.

والحقيقة أن مفاعيل القيامة فينا كلها متصلة بعضها ببعض، وإن كنّا اضطررنا في هذه المقالة أن نقسّمها لسهولة العرض والتبويب، لكن لا ينبغي أن يغيب عن ذهننا شدة الاتصال بينها: فالروح القدس المأخوذ بفعل القيامة هو الذي يغيِّرنا إلى صورة الابن، وحينما يرى الآب فينا صورة ابنه حينئذ يحبنا ويعتبرنا أبناءً له:

[إن الروح يشكِّل ويغيِّر إلى صورة الابن صفات الذين يحل فيهم بالمشاركة، حتى إذا ما رأى الله الآب معالم ابنه الخاص المولود منه واضحة فينا، يحبنا نحن أيضاً كأبناء ويشرق علينا بالكرامات الفائقة لهذا العالم.](٦٣)

وهكذا ينطبق على عمل القيامة فينا المعيار العام الذي عبَّر به القديس كيرلس عن غاية جميع أعمال الثالوث من أجلنا:

[إن كل شيء يُستعاد مجدداً إلى الآب من الابن بواسطة الروح القدس.](٦٤)

وهكذا تتحقق بالقيامة عودة البشرية إلى الآب السماوي. فصلاة قسمة القيامة تقول إن المسيح بقيامته رفع الناس معه "وأعطاهم قرباناً

(٦٢) تفسير متى ١١:١١ PG 72:400A، انظر أيضاً الكنز في الثالوث ١١ PG 75:173

(٦٣) عظة فصحية ١٠ PG 77:620

(٦٤) تفسير يوحنا ١٧:١٨و١٩ PG 74:541D

لله أبيه"، والقديس كيرلس يلاحظ بنفس هذا المعنى أن المسيح قد قام يوم ١٦ نيسان الذي فيه كانت تُقدَّم في العهد القديم باكورات الأرض لله. فقد قام الرب في نفس هذا اليوم مقدِّماً لله أبيه في نفسه باكورة الجنس البشري الجديدة(٦٥). وسنتعمق هذا المعنى أكثر حينما نعرض أقوال القديس الخاصة بصعود الرب «كسابق من أجلنا» ...



---

(٦٥) العبادة بالروح والحق ١٧ PG 68:1092-1096

الفصل الثاني

صعود المسيح من أجلنا

١ – في تعليم القديس أثناسيوس:

يُعتبر القديس أثناسيوس هو الذي وضع الأُسس اللاهوتية والروحية الثابتة التي سار عليها جميع الآباء اللاحقين له، ومن ضمنهم وبصفة ممتازة القديس كيرلس الكبير. لذلك سنجد في أقوال القديس أثناسيوس عن صعود الرب من أجلنا الأُسس الروحية الأُولى لكل ما قاله مَنْ أتى بعده، وعلى الأخص القديس كيرلس الكبير الذي شرحه باستفاضة في هذا الموضوع.

وأهم ما قاله الآباء – سواء كان القديس أثناسيوس أو الذين تبعوه – بخصوص صعود الرب أنه لم يصعد من أجل نفسه هو بل من أجلنا نحن. لأنه من جهة نفسه، باعتباره كلمة الله الأزلي، فهو لم يفارق حضن الآب قط. فبينما كان متجسِّداً معنا على الأرض قِيل عنه: «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يو ١:١٨). فقد صعد إذاً بالجسد من أجلنا ليفتح لنا طريق السموات الذي كان مغلقاً أمامنا، ويعطينا إمكانية الصعود معه بصفتنا ممثَّلين في جسده الصاعد المأخوذ منّا. بل إن القديس أثناسيوس يجرؤ أن يقول إن الرب "كان يحملنا في جسده الخاص" في أثناء صعوده:

[لقد افتتح الرب لنا من جديد الطريق الصاعد إلى السموات

كما قال: «ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية» (مز ٢٤: ٧ حسب السبعينية). فلم يكن اللوغس نفسه هو المحتاج لأن تُفتح له الأبواب إذ كان هو رب الكل، و لم يكن شيء من المصنوعات مغلقاً أمام خالقه، ولكننا نحن الذين كنّا نحتاج إلى ذلك، **نحن الذين كان يحملنا في جسده الخاص.** فكما أنه قدَّم جسده للموت نيابة عن الجميع هكذا أيضاً بواسطته قد أُعد من جديد الطريق الصاعد إلى السموات.](١)

فبواسطة جسد الرب أي ناسوته المقدَّس انفتح لنا الطريق الصاعد إلى السموات. بل إن ناسوت الرب هو نفسه الطريق الصاعد بنا إلى الآب:

[بواسطة ناسوت الرب قد صار لنا القدوم إلى الآب لأنه هو الطريق الذي يرجعنا إلى الآب. فالطريق شيء مادي منظور كمثل ناسوت الرب.](٢)

ومن البيِّن أن القديس أثناسيوس يعتمد في ذلك على ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين: «... طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي جسده ...» (عب ١٠: ١٩). وأهمية جسد الرب بالنسبة لصعودنا نحن تأتي من كونه جسداً بشرياً مأخوذاً منّا. فهو بالتالي يمثلنا تماماً وما يتم فيه ينبغي أن يعمَّم على الجنس البشري(٣). ثم من حيث أنه صار جسداً للكلمة الحقيقي الكائن منذ الأزل في حضن الآب، فقد

(١) تجسُّد الكلمة ٢٥: ٦.
(٢) إقرار الإيمان. N.P.N.F. IV, p. 85
(٣) الدفاع عن هروبه ١٣، نفس المرجع السابق صفحة ٢٥٩.

كـان مـن حقـه الطبيعـي إذاً أن يصعـد ويدخـل إلى حضـرة الآب فيصـير بـاكورة للبشـرية و «سـفيراً» عنهـا أمـام الآب:

[بسبب كونـه هـو كلمـة الآب الفـائق للجميـع، كـان هـو وحـده أهـلاً بصفتـه الطبيعيـة أن يصير سـفيراً وشـفيعاً عـن الجميـع لـدى الآب.](٤)

[لم يكـن إنســان مــا يسـتطيع أن يدخـل إلى حضـرة الآب مـا لم يكـن هـو نفسـه الكلمــة الحقيقـي ابـن الآب الطبيعـي وقـد لبـس جسـداً.](٥)

ويُجمـل القديـس أثناسيوس جميـع هـذه المعـاني في صفحــة بديعـة مـن مقالتـه الأُولى ضـد الأريوسـيين:

[كمـا أن الكلمـة غـير المـائت وصـورة الآب قـد أخـذ شـكل العبـد وجـاز المـوت بالجسـد كإنسـان لكـي بموتـه يقــدِّم نفســه إلى الآب مـن أجلنـا، هكـذا أيضـاً قيـل عنـه كإنسـان مـن أجلنـا وبالنيابـة عنَّـا إن الآب رفَّعـه (في ٢:٩). فكمــا أننـا بمـوت المسـيح متنـا جميعـاً فيـه، هكـذا أيضـاً في المسـيح نفسـه نحـن جميعـاً نرتفـع إذ نقــوم مـن الأمـوات ونصعـد إلى السـموات: «حيـث دخـل يسـوع كسـابق مـن أجلنـا ليـس إلى أقـداس أشـباه الحقيقيـة بـل إلى السـماء عينهـا ليظهـر الآن أمـام وجـه الله لأجلنـا» (عـب ٦:٢٠و ٩:٢٤). فـإن كـان المسيح قـد دخـل الآن إلى السـماء عينهـا مـن أجلنـا، مـع أنـه كـان منـذ الأزل وفي كـل حين هـو رب السـموات وخالقهـا، فمـن

(٤) تجسُّد الكلمة ٧:٥.

(٥) ضد الأريوسيين ٢:٧٠.

أجلنا إذاً كُتب أن الآب رفّعه (في ٢:٩) ... فلم يكن ذلك ليرتفع هو نفسه إذ أنه في ذاته هو الله العلي، ولكن ليصير لنا برًّا ويرفعنا نحن فيه فندخل أبواب السماء التي فتحها من أجلنا لما قيل أمامه: «ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد». على أن الأبواب لم تكن مغلقة في وجهه قط إذ كان هو رب الكل وخالق الكل؛ بل هذا أيضاً قد كُتب من أجلنا نحن الذين كان باب الفردوس مغلقاً في وجهنا. ولذلك فعلى مستوى بشريته بسبب الجسد الذي لبسه قِيل عنه: «ارتفعي أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ...»، وكأن الداخل هو إنسان، ثم من جهة أخرى على مستوى لاهوته، بسبب أن الكلمة هو الله قِيل عنه إنه هو «الرب ملك المجد».][٦]

أي أن اتحاد ناسوت الرب بلاهوته كان هو الوسيلة التي بها انفتحت لنا أبواب السموات. لأنه من حيث لاهوته لم تكن السماء مغلقة قط أمام خالقها، ثم من حيث ناسوته جعل نفسه كواحد منّا شريكاً في مصير البشرية العام التي كانت خارج الأبواب. فكانت النتيجة الحتمية لكيانه الواحد كإله متأنِّس أن تنفتح الأبواب أمام البشرية كلها بسبب هذا الإله المتأنِّس الذي جعل نفسه كواحد منّا خارج الأبواب. وهكذا نرى القديس أثناسيوس يسبق زمانه ويضع الأُسس الروحية الأُولى لعقيدة الاتحاد الأقنومي التي سوف يقنِّنها فيما بعد القديس كيرلس الكبير ويستخلص منها كل النعم الروحية التي

(٦) ضد الأريوسيين ١:٤١–٤٣.

آلت إلينا من تجسُّد الرب(٧) .

٢ – في تعليم القديس كيرلس الكبير:

نفس الأفكار السابقة التي وجدناها مشروحة باختصار عند القديس أثناسيوس فيما يخص صعود الرب من أجلنا، نجدها مشروحة بأكثر استفاضة في كتابات القديس كيرلس الكبير وعلى الأخص في تفسيره لإنجيل يوحنا حينما يشرح أقوال الرب الخاصة بصعوده:

• ففي شرحه لقول الرب: «في بيت أبي منازل كثيرة. وإلاّ فإني كنت قد قلت لكم إني أمضي لأُعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.» (يو ١٤: ٢و٣)، يقول القديس كيرلس:

[لو لم تكن المنازل كثيرة في بيت الله الآب لكان يقول إنه يسبقهم ليعد مساكن القديسين، ولكنه إذ كان يعلم أنها كثيرة ومُعدَّة لاستقبال الذين يحبون الله لذلك يقول إنه لن يمضي لهذه الغاية بل ليهيىء لهم **الطريق** إلى المنازل العلوية ويضمن لهم عبوراً أميناً ويمهِّد لهم السكة التي كانت مغلقة منذ الأيام القديمة. لأن السموات كانت مغلقة تماماً أمام الإنسان المائت ولم يجتاز جسد قط إلى محفل الملائكة الأطهار القديسين.

---

(٧) وجدير بالذكر أن القديس كيرلس نفسه يشهد أنه استلم الأُسس الأُولى لعقيدة الاتحاد الأقنومي من سلفه القديس أثناسيوس إذ يقول:

[كما قال أبونا الأسقف أثناسيوس الفائق الشهرة والمعتبر معياراً غير متغير للإيمان الأرثوذكسي: لقد اتحدت في المسيح حقيقتان مختلفتان تماماً بحسب الطبيعة أعني اللاهوت والناسوت ... غير أن المسيح الناتج منهما هو واحد تماماً.] الرسالة الفصحية الثامنة PG 77:572

فالمسيح كان أول من افتتح لنا إمكانية الاقتراب إلى هناك وهيَّأ للبشر طريق الدخول إلى السموات، لأنه رفع نفسه قرباناً لله أبيه كباكورة الراقدين والمضطجعين في القبور وكبدء البشرية الجديدة الظاهرة لأول مرة في السموات. ولذلك فالملائكة في السماء إذ لم يعرفوا شيئاً عن سر تجسُّده الفائق والمدهش، انذهلوا وتعجبوا لقدومه (كإنسان من الأرض) وصرخوا مندهشين لهذا الحدث العجيب وغير المألوف قائلين: «مَنْ ذا الآتي من أدوم» (إش ٦٣:١) أي من الأرض. غير أن الروح لم يترك سكَّان السماء بدون أن يعرِّفهم حكمة الله الآب العجيبة بل أمرهم بالحري أن يفتحوا أبواب السماء إكراماً للملك وسيد الجميع، قائلاً: «ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد.» (مز ٢٤:٧)

إذاً، فقد افتتح لنا ربنا يسوع المسيح «طريقاً حديثاً حيًّا» كما يقول القديس بولس: «إذ لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» (عب ١٠:٢٠، ٩:٢٤). فالمسيح لم يصعد إلى العلاء ليقدِّم نفسه هو إلى حضرة الآب لأنه من جهة نفسه كان وهو كائن وسيكون على الدوام في الآب، في مرأى من الذي ولده لأنه هو الذي به يُسرُّ الآب على الدوام (أم ٨:٣٠). وأمَّا الآن فهو نفسه الذي كان قديماً الكلمة المجرَّد من الجسد البشري قد صعد الآن في هيئة بشرية لكي يظهر في السموات في وضع جديد وغير

مألوف، وقد **فعل ذلك من أجلنا ولصالحنـــا نحـــن**، حتى أنه «إذ يوجـد في الهيئـة كإنسـان» (في ٢:٨)، وهـو لم يـزل في حقيقتـه محتفظـاً بقدرتـه الكاملـة كـابن الله، **وإذ يســمع وهــو في هيئــة إنسـان، الدعـوة القائلـة «اجلـس عـن يميـني»، ينقــل بذلــك مجــد التبـني مـن خـلال نفسـه إلى كـل جنـس البشـرية**. لأنـه مـن حيـث أنـه ظهـر في هيئـة بشـرية فهـو يُحسـب كواحـد منّـا (أي كنـائب عنّا) في جلوسـه عـن يمـين الله الآب على الرغـم من أنـه فـائق تمامـاً لكـل خليقـة وأنـه واحـد في الجوهـر مـع أبيـه مـن حيـث أنـه خـرج منه كنور من نور وإله حق مـن إلـه حـق.

إذاً، فمـن أجلنـا نحـن ظهـر كإنسـان أمـام الآب لكـي يرجعنـا – نحـن الذيـن صرنـا مطروحـين مـن وجــه الآب بســبب المعصيـة الأولى – يرجعنـا مـن جديـد لنصـير معـاينين لوجـه الله الآب. فهو يجلس عـن يمـين الله كـابن لكـي يجعلنـا نحـن أيضـاً مـن خلالـه نُدعـى أبنـاءً وأولاداً لله. فلهـذا السـبب أيضـاً بولـس الـذي يؤكـد أن المسـيح يتكلّـم بفمــه (٢كــو ١٣:٣) **يعلّمنـــا أن ننظــر إلى الأحـداث الـتي حصلـت في حيـاة المســيح وحـده وكأنهـا تخـص عمـوم الجنـس البشـري**. إذ يقـول إن الله «أقامنـا معـه وأجلسـنا معـه في السـماويات في المسيح» (أف ٢:٦). فالمسـيح بصفتـه ابـن الله بحسـب الطبيعـة يملـك كامتيـاز خـاص بـه أن يجلـس عـن يمـين أبيـه. ونسـتطيع بـالعدل والاسـتحقاق أن ننسـب لــه، ولـه وحـده، هذا المجـد وهـذه الكرامـة. ولكـن مـن حيـث أن المسيح الجـالس عـن يمـين أبيـه هـو مشـابه لنـا في كـل شـيء بسـبب ظهـوره في الهيئـة

كإنسان – مع أننا نؤمن أنه لم يزل إلهاً من إله – لذلك يتضح أن هذا الامتياز قد انتقل إلينا نحن أيضاً بنوع ما، فحتى وإن كنّا لن نجلس عن يمين الآب نفسه – لأنه كيف يمكن للعبد أن يرتقي إلى كرامة مساوية لكرامة سيده؟ – إلاَّ أن المسيح قد وعد تلاميذه القديسين أنهم سوف يجلسون على كراسي إذ قال: «متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (مت ١٩: ٢٨).][٨]

• وفي شرحه لقول الرب «إنه خير لكم أن أنطلق» (يو ١٦: ٧) يقول:

[لكي نسهِّل على إخوتنا فهم معنى هذه الآية ينبغي أن نعرض سبب تجسُّد الوحيد وبالتالي ما هو الخير الذي يعود علينا من انطلاقه: لقد صار إنساناً لكي يحرر من الفساد ومن الموت أولئك الذين كانوا يرزحون تحت عقوبة اللعنة القديمة. من أجل ذلك فالذي هو الحياة بطبعه قد اكتسى بطبيعتنا وبذلك انغلبت قوة الموت وأُبطل سلطان الفساد الذي كان قد أدركنا. وحيث أن الطبيعة الإلهية حرة تماماً من كل ميل نحو الخطية، لذلك فقد رفعنا (فوق الخطية) بجسده الخاص، **لأن فيه نحن جميعاً كائنون على قدر ما أنه أظهر نفسه كإنسان**. (فقد تجسَّد إذاً) من أجل أن يميت أعضاءنا التي على الأرض (كو ٣: ٥) التي هي شهوات الجسد، ومن أجل أن يخمد ناموس الخطية المتسلِّط على

(٨) تفسير يوحنا ١٤: ٢و٣.

أعضائنا، بل ومن أجل أن يقدِّس طبيعتنا أيضاً، ويُظهر نفسه مثالاً ورائداً لنا في طريق التقوى ويكملنا في معرفة الحق وفي الحياة المنزهة من الزلل، فهذا كله قد حققه لنا المسيح لمّا صار إنساناً.

ثم كان يلزم أيضاً أن يمنح طبيعة الإنسان بركات الرفعة وليس فقط أن ينقذها من وحل الموت والخطية، بل بالحري أن يرفعها إلى السموات عينها ويجعل الإنسان زميلاً للملائكة وشريكاً لأفراحهم. فكما أنه بقيامته قد جدَّد فينا قوة الانفلات من الفساد، هكذا أيضاً (بصعوده) استحسن **أن يفتح لنا طريق السموات وأن يُدخل إلى حضرة الآب الجنس البشري** الذي كان قد طُرد من وجهه بسبب معصية آدم. والقديس بولس الملهم يوافق على هذه النظرة إذ يقول: «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيدٍ أشباهِ الحقيقيةِ بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» (عب ٩:٢٤). فهو يقول صراحة إن الابن الكائن دائماً في حضرة أبيه والذي من طبيعته بسبب مساواة الجوهر، إنما يظهر الآن أمام وجه الآب **ليس من أجل نفسه بل "من أجلنا"**. فإني أكرر ما سبقت أن قلته: **إنه بانطلاقه إلى السماء كباكورة البشرية يدخلنا إلى حضرة الآب**. فكما يُقال عنه إنه مع كونه الحياة بطبعه قد مات وقام أيضاً من أجلنا، هكذا أيضاً يُقال إنه **مع كونه يعاين الآب ويُرى منه بالمثل في كل حين، إلاّ أنه قد ظهر الآن أمامه كإنسان** – أي كمَنْ يحمل على عاتقه الطبيعة البشرية – **ليس من أجل نفسه بل من أجلنا نحن**. فحيث أن

صعودنا إلى السماء كان هو الشيء الوحيد الأخير الذي كان لا يزال ناقصاً في تدبيره من أجلنا، لذلك فقد صعد المسيح كباكورة **وكبدء للذين يصعدون،** لأنه قد صعد إلى هناك «كسابق من أجلنا» (عب ٦: ٢٠) كما أوحى أيضاً إلى بولس نفسه. فالمسيح يظهر هناك الآن كإنسان **ليكون رئيس كهنة** لنفوسنا **وشفيعنا** وكفارة مرفوعة عن خطايانا، وهو نفسه كإله ورب بطبيعته يجلس على عرش أبيه. **بل إن مجده في ذلك (الجلوس) ينعكس علينا نحن أيضاً. ولذلك قال بولس إن الآب «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح»** (أف ٢: ٦). فلمَّا كانت رسالة الرب على الأرض قد تكمَّلت، كان من الواجب أن يكمِّل أيضاً هذا الشيء الأخير وهو الصعود إلى الآب ولذلك قال: «إنه خير لكم أن أنطلق».](٩)

من هذين القولين نستطيع أن نلخص فكر القديس كيرلس بخصوص صعود الرب من أجلنا في أن الرب بصعوده قد نقل إلينا عدة امتيازات خاصة به أو قُلْ عدة معانٍ مترادفة لنفس الامتياز وهي:

- الصعود معه إلى السماء.
- الظهور معه أمام الآب.
- الجلوس معه في السماويات.
- التبنِّي للآب السماوي.

وبالنسبة لكل من هذه الامتيازات يبيِّن أنها كانت حقاً طبيعياً للمسيح بسبب كيانه الإلهي. فالمسيح وحده كان يتمتع بهذه الامتيازات منذ الأزل

(٩) تفسير يوحنا ١٦: ٧.

بصفة مطلقة لكونه ابن الآب الوحيد المولود منه كإله من إله. فهو أقنوم الحكمة الأزلي الذي كان ظاهراً أمام الآب منذ الأزل، فرحاً قدامه في كل حين (أم ٨: ٣٠). ولكن الجديد الذي حققه الرب يوم أن صعد بالجسد من أجلنا إلى السماء هو أنه أظهر نفسه بهيئة بشرية في هذه الامتيازات وبالتالي فتح أمام الطبيعة البشرية كلها إمكانية الدخول إلى هذه الامتيازات، لأن الجنس البشري كله كان ممثَّلاً فيه، بل كان كائناً سرًّا داخل المسيح بسبب اشتراكه في طبيعتنا «فإننا نحن جميعاً كائنون فيه على قدر ما أنه أظهر نفسه كإنسان». لذلك يستطيع القديس كيرلس أن يلخِّص هذه المعاني في عبارة واحدة مختصرة قائلاً:

[إننا فيه ندخل السماء وفيه نظهر أمام الآب،
هكذا فيه أيضاً نتمجَّد ونُدعى أبناء الله.](١٠)

صعد ليرسل لنا الروح القدس:

لقد قال الرب: «إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي ولكن إن ذهبت أُرسله إليكم» (يو ١٦: ٧). لذلك يستطرد القديس كيرلس في شرحه لهذه الآية تكميلاً لما سبق أن قاله:

[والآن يليق بنا أن نضيف اعتباراً جديداً لما قلناه: فإن كل أعمال الرب على الأرض كانت قد تكمَّلت كما قلنا، غير أنه **كان يلزم أن نصير شركاء لطبيعة اللوغس الإلهية** أو بالحري أن نطرح عنَّا حياتنا الخاصة السابقة ونتحوَّل إلى حياة أخرى بأن تتغير أعماق كياننا إلى حياة جديدة تُسر الله. ولكن **كان من المستحيل أن نصل إلى هذه الغاية بوسيلة أخرى غير المشاركة في الروح**

(١٠) الكنز في الثالوث ٢٠ PG 75:329

القدس. ولذلك فأكثر وقت مناسب لإرسال الروح القدس وحلوله علينا كان هو الوقت الذي حدث فيه، أعني وقت انطلاق مخلّصنا المسيح. لأنه طالما كان حاضراً بالجسد مع المؤمنين به، كان يُعتبر هو مصدر كل بركة. ولكن لمّا دعت الضرورة إلى عودته إلى الآب في السموات، **كان من أهم ما يمكن أن يتحد بالمؤمنين به بواسطة الروح وأن يحل بالإيمان في قلوبهم** حتى **إذ نقتنيه** حاضراً **في داخلنا نستطيع أن نصرخ بدالة «يا أبا الآب»** وأن نتقدَّم بنشاط في كل فضيلة وأن نوجد أقوياء وصامدين أمام مكائد الشيطان وعداوة الناس الأشرار **إذ نملك داخلنا الروح القادر على كل شيء.**](١١)

صعد وجروحه على يديه:

إن جروح الرب لها أهمية خاصة في ظهوره من أجلنا أمام الآب، وفي الليتورجية الروحية التي يقدمها في الأقداس(١٢). فقد قال القديس بولس في الرسالة إلى العبرانيين إن الرب دخل إلى الأقداس «بدم

---

(١١) تفسير يوحنا ١٦:٧.

(١٢) كثيراً ما ستقابلنا في أقوال القديس كيرلس في هذه المقالة كلمة «الليتورجية» للدلالة على شفاعة الرب من أجلنا في السماء. وقد استقاها من الرسالة إلى العبرانيين: «وأمّا رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس عن يمين عرش العظمة في السموات مقدِّماً الليتورجية λειτουργός في الأقداس ... وقد حصل على ليتورجية λειτουργίας أفضل (من هارون) ...» (عب ٨:١-٦) وقد ترجمت كلمة ليتورجية في هذه الآية في الترجمة العربية الدارجة إلى كلمة "خدمة" مما أضعف معناها. وهي هنا بحسب الترجمة الحرفية تفيد معنى (**فعل ـ صلاة**) أي أن المسيح بصفته رئيس كهنة بلا عيب ولا يحتاج لذبيحة عن نفسه صارت ذبيحته أي جروحه الدائمة هي فعل الصلاة الكفاري الدائم عن كل بشر يلجأ به إلى الآب – صلاة بعمقها الإلهي.

نفسه» (عب ٩: ١٢)، أي ودمه على يديه. لذلك يؤكد القديس كيرلس أن الرب احتفظ بجروحه بصفة استثنائية في جسده الإلهي ليس فقط بعد القيامة بل وبعد الصعود أيضاً، ليظهر بها أمام السمائيين في كيانه السماوي الأبدي. ففي تفسيره لظهور الرب لتوما يقول: إن بقاء مواضع الجروح مفتوحة في يدي الرب وجنبه بعد قيامته شيء يستدعي التفسير، لأن المفروض أن الجسد الممجَّد بالقيامة لا يحتفظ بمظاهر الضعف التي كانت فيه في حياته الأرضية بحسب قول بولس الرسول: «يُزرع في هوان ويُقام في مجد. يُزرع في ضعف ويُقام في قوة» (١كو ١٥: ٤٣). ولكن المسيح احتفظ بعلامات الجروح في جسده المقام بوضع استثنائي ومقصود إذ لم تكن جروح عقاب أو تأديب عن نفسه بل دفع غرامة عن ذنبنا وهواننا، فبقيت له علامة مجد وأمَّا لنا فبقيت علامة رجاء حيٍّ، تثبيتاً لإيماننا في أنه هو نفسه الذي صُلب، وكعلامة أبدية عن محبته احتفظ بها في جسده لنا حتى إلى بعد الموت والقيامة يُظهرها إلى الأبد ليس لنا فقط بل ولجميع سكان السماء:

[فحتى لمَّا صعد إلى السماء عينها وأعلن سر تدبيره للرؤساء والسلاطين والقوات العلوية فقد ظهر لهم بنفس هذا المنظر (أي وجروحه في جسده) حتى يؤمنوا حقاً أن الكلمة الذي من الآب وفي الآب قد صار إنساناً من أجلنا، وأنه إلى هذه الدرجة اعتنى بخلائقه حتى إنه مات من أجل خلاصنا. ويتضح ذلك من قول إشعياء: «مَنْ ذا الآتي من أدوم، بثياب حُمر من بُصْرة؟» (إش ٦٣: ١). فالذين صرخوا قائلين: مَنْ ذا الآتي من أدوم، أي من الأرض، هم الملائكة والقوات العقلية لأنهم تعجَّبوا عند

صعود الرب إلى السماء. فلمَّا رأوه مُحْمَراً بدمه ولم يفهموا السر سألوه قائلين: «ما بال لباسك مُحْمَرٌّ وثيابك كدائس المعصرة؟» (إش ٦٣: ٢)، لأنهم شبهوا لون دمه بالخمر الجديدة الخارجة من المعصرة. ثم سأله الملائكة أيضاً لمَّا أراهم المسيح مواضع المسامير قائلين: ما هذه الجروح في يديك؟ فأجابهم الرب: هي التي جُرحت بها في بيت أحبائي (زك ١٣: ٦).](١٣)

وفي رسالته الحادية والأربعين يعود القديس كيرلس ويؤكد أن بقاء جروح الرب في جسده أثناء صعوده لم يكن أمراً عادياً:

[لقد ظهر بثوب مخضَّب بالدم وبجروحه في يديه ليس كأنه لا يستطيع أن يبرأ منها - فإنه كان قد قام من الأموات وخلع الفساد بل وخلع معه كل ما يختص به - بل فعل ذلك تدبيرياً «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي فعله في المسيح» (أف ٣: ١٠و١١).](١٤)

وفي تفسيره للرسالة إلى العبرانيين يركِّز القديس كيرلس على الآيات التي تبيِّن كهنوت المسيح السماوي من أجلنا بدم نفسه:

[وأمَّا المسيح **فبدم نفسه** دخل مرة واحدة إلى الأقداس أي إلى السماء.](١٥)

وهذا هو في الواقع أعمق معنى لظهور الرب أمام الآب من أجلنا

---

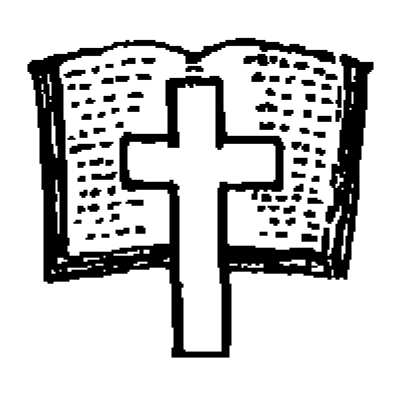
(١٣) تفسير يوحنا ٢٠: ٢٧.

(١٤) الرسالة ٤١ PG 77:216

(١٥) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ٩: ١٢ PG 74:985

في كل حين. فالمسيح هو الكاهن الذي يتقدَّم أمام الآب «بدم نفسه» مرفوعاً على يديه في كل حين بسبب بقاء جروحه في جسده الذي يَمثُل به أمام الآب في كل حين. فمع أنه قدَّم نفسه ذبيحة «مرة واحدة» (عب ٩: ١٢) – بحسب الزمن – على الصليب إلاَّ أنها كانت «بروح أزلي» (عب ٩: ١٤)، فتسجلت على صفحات الأبدية لتبقى بحسب تعبير الرسالة إلى العبرانيين «ليتورجية» (عب ٨: ٦) أبدية مقدَّمة من المسيح في السماء «في كل حين» (عب ٧: ٢٥) «من أجلنا» (عب ٩: ٢٤) «بدم نفسه» (عب ٩: ١٢) أي بتقديم حبه للآب في كل حين من أجلنا بالدم الذي سُفك إلى آخر قطرة من أجل الحب.

وسنبيِّن في الأقوال القادمة الخاصة بكهنوت المسيح من أجلنا، مدى اهتمام القديس كيرلس بتأكيد استمرار هذه الليتورجية السماوية المقدَّمة من المسيح من أجلنا في كل حين، حتى أن عالماً مثل "الأب مانوار" الذي يُعتبر من أهم دارسي فكر القديس كيرلس، يستطيع أن يقرر: إن فكرة استمرار الذبيحة الإلهية بروح أزلي في السماء المقدَّمة من المسيح كرئيس كهنة من أجلنا لهي من الأفكار الأساسية التي يلذ للقديس كيرلس أن يعود إليها مراراً كثيرة(١٦).



(١٦) Manoir, *Dogme et Spiritualité chez S.Cyrille*, p. 209.

الفصل الثالث

كهنوت المسيح من أجلنا

يُعتبر كهنوت المسيح السماوي امتداداً أبدياً لما حققه الرب لنا على الصليب وبالقيامة ثم أيضاً بصعوده بالجسد من أجلنا. فلمَّا قدَّم الرب نفسه على الصليب ثم قام وصعد أيضاً ليظهر أمام الآب من أجلنا ودمه على يديه، صار كاهناً أبدياً عن البشرية كلها لدى الله.

وفي ذلك يقول القديس أثناسيوس الرسولي:

[متى إذاً صار **رئيس كهنة** لاعترافنا (عب ٣:٢) إلاَّ بعد ما قدَّم نفسه من أجلنا وأقام جسده من بين الأموات، فصار هو نفسه الآن يقدِّم ويقرِّب إلى الآب الذين يلتحقون به بالإيمان فيفدي الجميع ويشفع في الجميع لدى الله؟](١)

غير أن هذا الكهنوت السماوي هو كهنوت فريد من نوعه ولم يسبق له مثيل ولا شبيه لا بين كهنة الأمم ولا بين كهنة اليهود الذين يكهنون بحسب أحكام الناموس، لأنه لم يُسمع قط في أي دين من الأديان أن كاهناً ما قدَّم نفسه ذبيحة لله. فالمسيح وحده هو الكاهن بذبيحة نفسه، أي أنه هو نفسه في نفس الوقت الكاهن والذبيحة المرفوعة ولأهمية هذه النقطة يقدمها القديس أثناسيوس كغاية أساسية للتجسُّد:

---

(١) ضد الأريوسيين ٢:٧

[لقد ارتدى الكلمة جسداً أرضياً ليستطيع **كرئيس كهنة** أن يكون له هو أيضاً ما يقدِّمه (أي هذا الجسد. انظر عب ٨:٣ و١٠:٥) فيذبح نفسه للآب ويطهرنا من خطايانا ويقيمنا من بين الأموات.](٢)

ثم هناك أيضاً نقطة ثانية أهم من الأُولى ينفرد بها كهنوت المسيح عن أي كهنوت آخر صار بين الناس، وهي أن المسيح وحده هو في نفس الوقت الكاهن والإله أي مقدِّم الذبيحة والشفاعة والضامن لقبولها لدى الآب لكونه هو والآب واحداً (يو ١٠:٣٠)، وهذا في الواقع هو أقوى ما في كهنوت المسيح من أجلنا، أن يكون الكاهن هو نفسه ابن الله، أي أن يكون مقدِّم الذبيحة والشفاعة هو نفسه الضامن لقبولها لدى الآب والمتعهِّد بالاستجابة، بسبب وحدته بالآب، أو بمعنى آخر أن يكون المسيح بذبيحة نفسه وبكيانه الإلهي هو الشفيع والمستجيب بآن واحد أي المحامي والقاضي معاً، أو بتعبير بولس الرسول الشفيع والديان معاً: «مَنْ هو الذي **يدين**؟ المسيح ... الذي هو عن يمين الله الذي أيضاً **يشفع** فينا» (رو ٨:٣٤)؛ وذلك بفضل الاتحاد الأقنومي الذي بسببه أمكن أن يكون المسيح هو نفسه في كيانه الواحد الشفيع عن البشرية بسبب اتحاده بنا، والقاضي والديان بسبب وحدته مع الآب.

وقد استرعت جميع هذه المعاني انتباه القديس كيرلس وقد اهتم على الخصوص بإظهار فرادة كهنوت المسيح وتفوُّقه على أي كهنوت آخر عُرف بين الناس. فالمسيح وحده قد صار الكاهن عن البشرية

---

(٢) شرحه.

كلها لدى الله **بذبيحة نفسه**، ثم هو وحده أيضاً الكاهن الواحد مع الله لأنه هو الابن الوحيد القائم في ذات الله، فصار بذلك ضامناً لقبول الذبيحة والاستجابة لها ضماناً ذاتياً. ثم يستخلص القديس كيرلس من هذه النقطة الأخيرة مقدار الدالة والجرأة في الصلاة والثقة في الاستجابة التي تصير لنا حينما نتقدَّم «باسمه» أي متشفعين بكهنوته السماوي، واثقين أنه هو نفسه كاهننا الذي تعيَّن من الله ليقدِّم طلباتنا إلى الآب، **في حين أنه هو نفسه أيضاً وفي نفس الوقت في الآب يعمل** معه في سماع كل صلاة تُقدَّم للآب ضامناً الاستجابة لها. ثم بالإضافة إلى استجابة صلواتنا المقدَّمة «باسمه» يبيِّن القديس كيرلس النتائج الأخرى لكهنوت المسيح السماوي في حياة المؤمنين به، مثل غفران خطايانا وتقديس نفوسنا بروحه القدوس إلى أن يوصلنا إلى شركة طبيعته الإلهية. وسنقدم فيما يلي أقوال القديس كيرلس الخاصة بكل من هذه المعاني:

الكاهن بذبيحة نفسه:

[إنه يكهن فوق الناموس، لأنه **هو نفسه الذبيحة** والحمل الحقيقي **وهو بعينه أيضاً رئيس الكهنة** الذي بلا شر ولا لوم الذي لا يكهن عن خطايا نفسه لأنه كإله فوق الخطية، بل يكهن لكي يبطل خطايا العالم. **فقد صار هو نفسه إذاً الكاهن الذي يكهن بذبيحة نفسه**.][٣]

[إنه هو المصالح والوسيط بين الله والناس.

فلكونه حقاً رئيس كهنتنا الأعظم والأقدس فهو يستميل

(٣) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ١:٣ PG 74:969-972

بتشفعاته مشاعر أبيه من نحونا، **لأنه يقدِّم نفسه ذبيحة من أجلنا فهو الذبيحة وهو نفسه الكاهن.** هو الوسيط وهو نفسه الضحية الفائقة التي بلا عيب لأنه هو الحمل الذي يرفع خطية العالم.](٤)

[إن الكهنة بحسب الناموس لا يكفيهم أن يقدموا ذبيحة واحدة، بل بالحري ذبائح كثيرة يقدمونها كل يوم عن نفوسهم وعن جهالات الشعب بسبب الضعف المتكرر والتهاون في خطايا متنوعة. وأمَّا الذي هو فوق كل خطية لكونه إلهاً **فقد قدَّم نفسه وصار لنا رئيس كهنة مدعواً بحسب ناسوته خادماً ليتورجياً λειτουργός وذابحاً جسده الخاص لله أبيه.**](٥)

[لمَّا صار اللوغس مشابهاً لنا وتألم من أجلنا بالجسد حينئذ دُعي لنا رئيس كهنة، ليس كمن يقدِّم ذبيحة غريبة عن نفسه، بل بكونه هو نفسه الحمل والمحرقة العقلية واليمامة الناطقة والحمامة النقية، خبز الحياة والمذبح الذهبي.](٦)

والقديس كيرلس يلخِّص هذا المعنى في عبارة مختصرة يكررها في عدة مواضع:

[هو الكاهن وهو الذبيحة وهو المذبح.](٧)

---

(٤) تفسير يوحنا ١٧: ٩–١١ PG 74:505-508

(٥) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ٧: ٢٧ PG 74:976

(٦) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ٤: ١٤ PG 74:972,973

(٧) العبادة بالروح والحق PG 68:596-604,616-625, 648-664، جلافير على التكوين ٤: ٤ PG 69:189

الكاهن والإله:

لعل القديس كيرلس يكون أكثر مَنْ وعى واستوعب الأعماق الروحية المذخرة في كهنوت المسيح السماوي من أجلنا، ذلك لأنه أكثر مَنْ انتبه لسر الاتحاد الفائق الكائن في المسيح بين بشريته ولاهوته. فبسبب هذا الاتحاد الكامل قد صار المسيح في شخصه الواحد كاهناً ممثِّلاً للبشرية كلها أمام الآب بحسب ناسوته وواحداً مع الآب بحسب لاهوته في الجلوس في السموات وفي تقبُّل العبادة والتسبيح من ألوف السمائيين:

[لقد صار رئيس كهنة بحسب بشريته. ومع ذلك فهو بحسب لاهوته يقبل إلى نفسه الذبائح المقدَّمة من الجميع. إنه هو نفسه بحسب الجسد الذبيحة وبحسب سلطان لاهوته غافر خطايانا. وفي كلا الأمرين واحد هو الرب يسوع المسيح.](٨)

[فكما نقول إنه لم يزل إلهاً على الرغم من أنه أخذ شكل العبد، هكذا أيضاً نقول إن له في السموات ربواتٍ من الذين يقدمون له الذبائح العقلية غير الدموية بتسابيح وتماجيد كثيرة، على الرغم من أنه جعل نفسه محتاجاً أن يتقلَّد الكهنوت بحسب الذي لنا.](٩)

كذلك في تفسيره للآية القائلة: «ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» (عب ٩: ٢٤) يُبرز القديس كيرلس أن المسيح في حين مثوله أمام الآب ككاهن من أجلنا فهو بعينه أيضاً مع الآب فوق الأرواح السماوية:

---

(٨) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ٢: ١٧، PG 74:965

(٩) شرحه ٥: ٥، PG 74:973

[حيث أن الله يقول: «السماء كرسي لي»، فنحن نعتبر أن الابن أيضاً فوق الأرواح السماوية (أي جالس فوق الشاروبيم) والسماء له مسكن وخيمة أقداس. فهو ليس كالكهنة الذين على الأرض الذين يكمِّلون ذبائحهم بالدماء كشبه الحقيقة بحسب الناموس.](١٠)

فجلوس المسيح عن يمين الآب أثناء تقديمه الخدمة الكهنوتية هو في الواقع أكثر ما يمثل فرادة كهنوت المسيح وتفوقه اللانهائي على أي كهنوت آخر عُرف بين الناس:

[فإن كان حقاً أن كل كاهن يقف دائماً أثناء تقديمه الخدمة (الليتورجية) ولا يُحسب قط جليساً ولا مساوياً في الكرامة لله بل فقط متعبِّداً له، فكيف لا يكون المسيح كاهناً فائقاً فريداً من نوعه لأنه في حين تقديمه الخدمة الليتورجية – بحسب بشريته – فهو أيضاً – بحسب لاهوته – يجلس على العرش الإلهي!](١١)

وبنفس المعنى يبيِّن في رسالته "عن الإيمان القويم إلى الملكات" أن كل كاهن أرضي لا بد أن يقف حينما يقدِّم الليتورجية، فلم يُسمع قط أن كاهناً جلس عن يمين الإله الذي كان يكهن له، أو كان له مجد كمجد الله. غير أن المسيح قد صار كاهناً فائقاً وفريداً من نوعه ولم يسبق له مثيل لأنه في حين تقديمه ذبيحة نفسه كممثل للبشرية بحسب ناسوته، فهو أيضاً يجلس على العرش الإلهي لكونه هو بعينه إلهاً(١٢).

---

(١٠) شرحه ٩:٢٤، PG 74:985

(١١) شرحه ٢:٨، PG 74:977

(١٢) عن الإيمان القويم إلى الملكات ٤٤، PG 76:1397A

ويكرر نفس المعنى في رسالة أخرى عن الإيمان القويم أرسلها إلى الأميرتين أركاديا ومارينا قائلاً فيها ما معناه أن المسيح في السماء هو مقدِّم الليتورجية λειτουργός السمائية. ولم يُسمع قط أن مقدِّم الليتورجية يكون له كرامة مساوية لكرامة الله. فكيف يتسنّى للمسيح رئيس كهنتنا أن يكون جالساً عن يمين الله بل وأن يملك على عرش العظمة الإلهية أثناء تقديمه الليتورجية؟ يرى القديس كيرلس في ذلك دليلاً على وحدة كيان المسيح الإلهي البشري: فهو نفسه بسبب لاهوته يجلس على عرش العظمة الإلهية وهو بعينه بسبب ناسوته قد دُعي كاهناً وخادماً ليتورجياً لنا من أجل تدبير الخلاص(١٣).

فالمسيح هو **الكاهن** السماوي بذبيحة نفسه الذي هو في كيانه الواحد **الجليس** مع الآب على العرش الإلهي. ومن الأقوال السابقة نستطيع أن نتبيَّن مدى أهمية فكرة "الكاهن الجليس" وتأصلها في لاهوت القديس كيرلس لأنها تمثل في نظره أقوى صورة لكيان المسيح البشري الإلهي. ومن الواضح أنه لم يختلقها ولكنه استقاها من أسفار العهد الجديد، وعلى الأخص من الرسالة إلى العبرانيين التي تربط باستمرار بين كهنوت المسيح وجلوسه عن يمين الآب: «وأمَّا رأس الكلام **فهو** أن لنا **رئيس كهنة** مثل هذا قد **جلس** في يمين عرش العظمة في السموات **خادماً** للأقداس والمسكن الحقيقي ...» (عب ٨: ١و٢) فكثيراً ما يستشهد القديس كيرلس بهذه الآية.

غير أن عقيدة المسيا ككاهن أبدي جالس عن يمين الله هي أقدم

---

(١٣) عن الإيمان القويم إلى الأميرتين، PG 76:1312A

من الرسالة إلى العبرانيين وأقدم من بولس الرسول، وترجع في الواقع إلى المزمور ١١٠ الذي يُعتبر من أوضح النبوات عن المسيا الآتي. فقد أوضح هذا المزمور أن المسيا سيكون كاهناً أبدياً: «أقسم الرب ولن يندم أنت **كاهن إلى الأبد** على طقس ملكي صادق» (مز ١١٠:٤)، وفي نفس الوقت أوضح أيضاً أن هذا الكاهن الأبدي سيصير جالساً عن يمين الله في العرش السماوي إذ قال: «قال الرب لربي **اجلس عن يميني** حتى أضع أعداءَك موطئاً لقدميك.» (مز ١١٠:١)

إذاً فالقديس كيرلس لم يبتكر هذه الفكرة، غير أن الفضل يرجع إليه في أنه ألقى الأضواء على الحقيقة الكائنة وراء هذا الربط بين كهنوت المسيح وجلوسه عن يمين الله، ألا وهي حقيقة الاتحاد الأقنومي في التجسُّد، أي وحدة كيان المسيح البشري الإلهي، الذي بسبب ناسوته قد صار كاهناً ممثلاً للبشرية كلها أمام الله وهو بآن واحد بسبب لاهوته لم يفارق الآب قط على مستوى الجلوس على العرش الإلهي أيضاً.

ثم يرجع إليه الفضل أيضاً في أنه أظهر القيمة الروحية الفائقة المذخرة في هذا الربط الذي نجده في المزمور المائة والعاشر وفي الرسالة إلى العبرانيين بين كهنوت المسيح وجلوسه عن يمين الآب: فالنتيجة الروحية لهذا الربط هي أن رئيس كهنتنا الذي يقدِّم للآب صلواتنا وجميع أنواع عبادتنا إنما هو نفسه أيضاً بجوهر لاهوته واحد مع الآب يضمن قبولها إليه والاستجابة لها! أي أن مقدِّم صلواتنا يضمن سماعها والاستجابة لها، فكم من الثقة وكم من الرجاء وكم من الجرأة في الإيمان تعود علينا من ذلك؟! ولأهمية هذه الحقيقة يحسن أن نعرضها

من جديد بشيء من التفصيل متبينين العناصر التالية من أقوال القديس كيرلس:

- كهنوت المسيح والاتحاد الأقنومي.
- مقدِّم عبادتنا للآب.
- مقدِّم عبادتنا للآب هو نفسه بسبب وحدته مع الآب، يعمل في الاستجابة لها.
- سر الصلاة المستجابة: نوع جديد من الصلاة.
- نتائج أخرى لكهنوت المسيح السماوي.

كهنوت المسيح والاتحاد الأقنومي:

لقد وعى القديس كيرلس أهمية عقيدة الاتحاد الأقنومي أي الاتحاد الكامل الذي تمَّ بين لاهوت المسيح وناسوته وأدرك أنها هي الأساس الذي ترتكز عليه قيمة جميع أعمال المسيح من أجلنا، ومن ضمنها خدمته الكهنوتية من أجلنا ككاهن سماوي يجلس عن يمين الله. فالذي يشكل امتياز كهنوت المسيح وتفوقه اللانهائي على أي كهنوت آخر إنما هو الاتحاد الأقنومي. فالمسيح هو نفسه بآن واحد بسبب اتحاد لاهوته بناسوته الكاهن الإله أي مقدِّم الذبيحة بحسب بشريته، والقائم في الآب بحسب جوهر لاهوته، ضامناً لقبول الصلاة والاستجابة لها:

> [لقد صار رئيس كهنة بحسب بشريته، ومع ذلك فهو بحسب لاهوته يقبل إلى نفسه الذبائح المقدَّمة من الجميع ... وفي كلا الأمرين واحد هو الرب يسوع المسيح.][١٤]

---

(١٤) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ٢:١٧، PG 74:965

[لأنه في حين تقديمه الخدمة الليتورجية بحسب بشريته فهو أيضاً كإله يجلس على العرش الإلهي.](١٥)

[لقد قيل عنه أنه «اجتاز السموات» (عب ٤: ١٤) جسدياً وإلهياً بآن واحد. فقد صعد (جسدياً) ليظهر أمام وجه الله (من أجلنا). ومن جهة أخرى فهو يجتاز السموات (إلهياً) ليجلس كابن مع أبيه فوق كل رئاسة على الرغم من أنه صار مثلنا بحسب التدبير.](١٦)

فكهنوت المسيح السماوي من المجالات التي تظهر فيها أهمية الإيمان بعقيدة الاتحاد الأقنومي، أي بوحدة كيان المسيح الواحد كإله وإنسان بآن واحد، لأنه بدون هذه الوحدة يفقد كهنوت المسيح كل قيمته.

ولمّا أدرك القديس كيرلس هذه العلاقة الصميمية بين كهنوت المسيح والاتحاد الأقنومي اهتم بأن يدرج ضمن حرومه الاثني عشر التي قررها ضد نسطور بنداً خاصاً بكهنوت المسيح السماوي:

[إن الكتب المقدَّسة تقول إن المسيح قد صار «رسول اعترافنا ورئيس كهنته» (عب ٣: ١) وإنه قدَّم نفسه رائحة طيبة لله أبيه. فإن قال واحد إن رئيس كهنتنا ورسول اعترافنا ليس هو اللوغس كلمة الله نفسه المتجسِّد والمتأنس بشبهنا بل هو آخر متميِّز عنه، أي إنسان آخر مولود من امرأة ... فليكن محروماً.](١٧)

---

(١٥) تفسير الراسلة إلى العبرانيين ٨: ٢، PG 74:977

(١٦) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ٤: ١٤، PG 74:973

(١٧) الحرم العاشر PG 76:309

مقدِّم عبادتنا للآب:

يقول القديس كيرلس في رسالته عن الإيمان القويم المرسلة إلى الملكات[١٨] ما معناه أن **المسيح استقطب في نفسه جميع صلوات بني الإنسان وكل أنواع عبادتنا وصار يقدِّمها بالنيابة عنا إلى الله أبيه.**

فغاية صلوات المسيح في حياته الأرضية كانت:

[لكي يستميل بذلك أُذن الآب لصراخ الطبيعة البشرية.] بل [ونحن الذين كنّا فيه نصلّي بصراخ شديد ودموع.][١٩].

ويستدل القديس كيرلس على هذه الحقيقة بالآية التي تدعو المسيح «رسول اعترافنا ورئيس كهنته» (عب ٣: ٢) ومن الواضح أن كلمة «رسول» في هذه الآية لها معنى خاص يختلف عن معناها المألوف. فالمعنى المألوف لكلمة الرسول أنه مرسل من الله للناس. وأمَّا في هذه الآية فالمسيح **«رسول اعترافنا» بمعنى أنه صعد كمرسل عن البشرية كلها ليمثلها لدى الله الآب «كسابق لأجلنا ... ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا»** (عب ٦: ٢٠، ٩: ٢٤). فهو رسول اعترافنا ورئيس كهنته لأنه حمل في نفسه اعترافنا (ὁμολογία أي إقرارنا بالإيمان) وجميع أنواع عبادتنا، ووحَّدها بذبيحة نفسه ليعطيها قيمة لانهائية وصعد بها كرئيس كهنة ليقدمها بالنيابة عنّا لدى الآب:

[لمَّا صار إنساناً – بحسب قول يوحنا إن الكلمة صار جسداً – حينئذ جُعل رسولاً من أجلنا ورئيس كهنة لاعترافنا ليرفع إلى

---

(١٨) عن الإيمان القويم إلى الملكات: ٣٩و٤٠، PG 76:1388,1389,1392

(١٩) نفس المرجع السابق ٤٠، PG 76:1392A

الآب اعترافنا بالإيمان.][20]

[فإننا نقول إن الكلمة الذي من الله الآب لمّا صار إنساناً، صار يقدِّم إلى نفسه وإلى أبيه اعترافنا بالإيمان.][21]

ونلاحظ في هذا القول الأخير معنىً جديداً وهو أن المسيح صار يقدِّم «**إلى نفسه وإلى أبيه**» اعترافنا بالإيمان، أي أن المسيح هو نفسه مقدِّم إيماننا واعترافنا وعبادتنا إلى الآب، وهو بعينه أيضاً القائم مع الآب في تقبُّلها إليه، وبالتالي أيضاً في الاستجابة لها. وهذه النقطة تحتاج لأهميتها إلى توضيح أكثر.

مقدِّم عبادتنا للآب هو نفسه بسبب وحدته مع الآب يعمل في الاستجابة لها:

هذه من الأفكار القوية التي برع القديس كيرلس في توضيحها. فهي نتيجة روحية مباشرة لسر الاتحاد الأقنومي أي للوحدة الكائنة في المسيح بين لاهوته وناسوته. فالمسيح من جهة بشريته، يُعتبر "ابن الإنسان" الذي يمثِّل كل إنسان أمام الآب، ويرفع عبادة كل إنسان إلى الآب، متشفِّعاً فيه في كل حين: «إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم» (عب ٧:٢٥)، ثم هو نفسه أيضاً من جهة لاهوته يُعتبر واحداً مع الآب جوهرياً: «أنا والآب واحد» (يو ١٠:٣٠). وبالتالي فهو يعمل مع الآب بكل تأكيد في تقبُّل العبادة من كل إنسان وفي سماع الصلاة والاستجابة لها. فالمسيح من جهة ناسوته يرفع الذبيحة عنّا متشفعاً فينا ومن جهة لاهوته هو مع الآب في قبولها إليه. لذلك أمكن القديس كيرلس أن يقول إنه صار "يرفع الذبيحة نحو نفسه" أو كما

(٢٠) الكنز في الثالوث ٢١، PG 75:361

(٢١) ضد نسطور ٣:١.

قال في القول السابق وكما سنراه أيضاً فيما يلي "إنه رفع نحو نفسه، ونحو الآب، بواسطة نفسه، اعترافنا":

[أي كاهن آخر قدَّم الخدمة الكهنوتية لنفسه؟ أو رفع الذبيحة نحو نفسه؟ أي كاهن آخر ظهر في الرتبة وفي المجد كالإله الذي تُقدَّم إليه الخدمة الليتورجية؟ فإن ابن الله وحده لمَّا صار رئيس كهنة بسبب تأنسه **قد رفع نحو نفسه ونحو الآب بواسطة نفسه اعترافنا نحن**، وقد ظهر في نفس الوقت جالساً على العرش الإلهي. فقد صَدَقَ بولس لمَّا كتب: «وأمَّا رأس الكلام فهو أن لنا **رئيس كهنة** مثل هذا قد **جلس** في يمين عرش العظمة في السموات مقدِّماً الليتورجية في الأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان» (عب ٨:١و٢) إذاً، **فهو يكهن بشرياً** لأنه صار إنساناً وهو نفسه له **الجلوس إلهياً** بسبب كونه لم يزل هو اللوغس.](٢٢)

فالنتيجة الروحية الفائقة التي نتجت من الاتحاد الأقنومي هي أن مقدِّم الذبيحة عنَّا والمتشفِّع فينا كرئيس كهنة هو نفسه يعمل مع الآب في قبول هذه الذبيحة، وبالتالي في قبول صلواتنا المشفوعة بهذه الذبيحة وفي الاستجابة لها:

[ففي أواخر الأزمنة قد أظهر المسيح نفسه وسيطاً ورئيس كهنة فائقاً لتشبيهات الناموس وصوره، **فهو يسأل من أجلنا كإنسان وهو في نفس الوقت كإله على أتم استعداد ليعمل مع الله أبيه في توزيع العطايا الصالحة للمستحقين. إذاً، فالمتوسل عنَّا**

---

(٢٢) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ٣:١، PG 74:972

كإنسان هو نفسه أيضاً الإله العامل مع الآب في الاستجابة.](٢٣)

[إنه يستميل إلينا صلاح الآب. فلكونه رئيس كهنة نفوسنا – إذ ظهر كإنسان مع بقائه إلهاً بطبعه مع الآب – فهو بكل لياقة يرفع التشفعات διαλέξεις إلى الآب من أجلنا، وبذلك يثبت إيماننا في أنه هو نفسه الآن أيضاً «كفارة لخطايانا» و «شفيعنا البار لدى الآب» (١يو ٢:١و٢) بحسب قول يوحنا. ولذلك بولس أيضاً يقول ليثبِّت فينا هذا الفكر: «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا» (عب ٤:١٥) ... ثم من حيث أن جميع الأشياء تتم – كما قلنا مراراً كثيرة – من الآب بواسطة الابن في الروح القدس، لذلك **فهو بصفته وسيطنا ورئيس كهنتنا يطلب لنا الصالحات من الآب، وفي نفس الوقت يعمل أيضاً مع الآب في إعطاء وتوزيع المواهب الروحية والإلهية.]**(٢٤)

سر الصلاة المستجابة – نوع جديد من الصلاة:

من الأقوال السابقة يتضح أن المسيح هو بعينه في نفس الوقت "الذي يطلب لنا الصالحات من الآب" و "العامل مع الآب في الاستجابة". ولا شك أن إدراك هذه الحقيقة والسلوك بمقتضاها في الصلاة إنما هو الدخول في سر الصلاة المستجابة بكل تأكيد، لأننا إن جعلنا صلواتنا مقدَّمة إلى الآب باسم المسيح نفسه الذي هو بعينه في

(٢٣) تفسير يوحنا ١٧:٩–١١، PG 74:508

(٢٤) شرحه ١٧:٢، PG 74:480-481

نفس الوقت الكاهن والإله، أي مقدِّم صلواتنا للآب والعامل مع الآب في الاستجابة لها، فكيف يمكن أن لا تُستجاب؟!

فالإيمان بالمسيح كرئيس كهنة وبشفاعته السماوية من أجلنا يضاعف إذاً بلا قياس من قيمة صلواتنا، إذ يوصلها إلى أعماق قلب الآب بواسطة الابن الوحيد الواحد معه جوهرياً، فننال الاستجابة بكل تأكيد، لأن الآب لا يمكن أن يرفض شيئاً لابن محبته. لذلك فنحن حينما نتحد بليتورجية المسيح السمائية (بحسب تعبير الرسالة إلى العبرانيين عب ٨: ٢و٦) ونجعل جميع طلباتنا تنفذ من هذا الباب ومن هذا الطريق إلى قلب الآب ننال الاستجابة بكل تأكيد.

والقديس كيرلس في ذلك لا يغالي بل يوضِّح فقط الحقيقة الإنجيلية المعلنة لنا بواسطة الرب نفسه في الإنجيل، ففي صفحة بديعة من تفسيره لإنجيل يوحنا يشرح قول الرب: «الحق الحق أقول لكم، إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً.» (يو ١٦: ٢٤):

[إنه يشجع تلاميذه على أن يطلبوا العطايا الروحية ويمنحهم الثقة في أنهم إن سألوا شيئاً لن يخفقوا في أن ينالوه، ويؤكد ذلك بقوله: «الحق الحق أقول لكم»، حتى يثقوا تماماً أنهم إن تقدَّموا بأية طلبة فسوف ينالونها من الآب، **لأنه هو نفسه المسيح سيكون وسيطاً وساعياً معهم ليقدمهم إلى حضرة الآب، لأن هذا هو معنى عبارة «باسمي»** لأننا لا نستطيع أن نتقدم إلى الآب إلاَّ بالابن وحده، لأن به لنا القدوم بروح واحد إلى الآب (أف ٢: ١٨). ولذلك أيضاً هو نفسه قال: «أنا هو

الباب ... أنا هو الطريق ... ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي» (يو ١٠:٩، ١٤:٦). **فلكونه قد دُعي لنا وسيطاً ورئيس كهنة وشفيعاً** (أو محامياً παράκλητος انظر ١يو ٢:١) **فهو يرفع إلى الآب التوسلات من أجلنا لأنه هو نفسه ثقتنا كلنا ودالتنا كلنا** παρρησία **لدى الآب**. فينبغي إذاً أن نرفع طلباتنا باسم مخلّصنا المسيح لأن هذا يحرك استعداد الآب للاستجابة فيعطي الصالحات للذين يسألونه. حتى إذا ما أخذنا، فَرِحنا.](٢٥)

ويلاحظ في هذا القول أن القديس كيرلس يفسِّر عبارة «باسمي» على أنها تعني التشفع بكهنوت المسيح السماوي وبتوسطه بيننا وبين الله: [**لأنه هو سيكون وسيطاً وساعياً معهم ليقدمهم إلى حضرة الآب لأن هذا هو معنى عبارة «باسمي»**] أي بكونه [**وسيطاً لنا ورئيس كهنة وشفيعاً**]. ثم يستطرد القديس كيرلس في شرح بقية هذه الآية مبيِّناً أننا قد حصلنا بذلك على نوع جديد من الصلاة وأنه هو سبب الفرح الروحي الحقيقي:

[... حتى إذا ما أخذنا فرحنا ... **وهكذا تمتلىء قلوبنا بالفرح الذي في المسيح**. وهذا الفرح (بالثقة في الاستجابة) لم يختبره رجال العهد القديم لأنه لم يفكر أحد منهم في **هذا النوع من الصلاة** بسبب عدم المعرفة. وأمَّا الآن فقد أُعلن لنا بواسطة المسيح في الوقت المناسب بعد أن أشرق علينا زمان التجديد وتحقق لنا بواسطته كمال كل صلاح.](٢٦)

---

(٢٥) تفسير يوحنا ١٦:٢٣و٢٤، PG 74:460-461

(٢٦) شرحه.

إذاً فلنا الآن نوع جديد من الصلاة [لم يختبره رجال العهد القديم] لأن لنا الآن أن نشفع جميع طلباتنا بكهنوت المسيح السماوي ونجعلها بذلك تنفذ إلى أعماق قلب الآب بواسطة ابنه الوحيد الكائن على الدوام في حضنه الأبوي.

وهذا "النوع من الصلاة" هو مصدر الفرح الروحي الحقيقي [وهكذا تمتلىء قلوبنا بالفرح الذي في المسيح]. وليلاحظ القاريء أن [الفرح الذي في المسيح] هو في نظر القديس كيرلس الفرح الأزلي الذي كان للابن في وضعه الأزلي أمام الآب «كنت كل يوم لذته فرحاً دائماً قدامه» (أم ٨: ٣٠)، أي فرح التوافق الكامل بين الآب والابن منذ الأزل في كل ما يعملان ويقولان. فنحن حينما نتقدم بهذا "النوع الجديد من الصلاة" نحو مرحلة الاستجابة الدائمة بحسب وعد الرب، تتوافق مشيئتنا تدريجياً مع مشيئة الله فندخل بالتالي في شركة هذا الفرح الأزلي الذي كان في المسيح منذ الأزل بسبب توافقه الكامل مع الآب.

نتائج كهنوت المسيح وليتورجيته السماوية:

إن استجابة صلواتنا المشفوعة بكهنوت المسيح السماوي من أجلنا تعتبر من نتائج "ليتورجيته" التي يقدِّمها، بحد تعبير الرسالة إلى العبرانيين «في الأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان»، «بدم نفسه» أي بتقديم حبه للآب بالدم الذي سُكب إلى آخر قطرة من أجل الحب.

ولكن ما هي النتائج الأخرى لهذه الليتورجية السماوية؟ وما هي فاعليتها في حياتنا على الأرض؟ إننا نجدها معلنة في الأصحاح الثامن

من الرسالة إلى العبرانيين لأنه بعد أن قال إن المسيح صار «خادماً ليتورجياً λειτουργός للأقداس» أوضح نتيجة هذه الخدمة الليتورجية في حياتنا قائلاً: «**وقد حصل على ليتورجية أفضل (من هارون) بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم**»، ثم عاد أيضاً في بقية الأصحاح وشرح معالم هذا العهد الجديد الأعظم الناتج من ليتورجية المسيح السمائية مستشهداً بنبوة إرميا (إر ٣١:٣١-٣٤)، مبيناً أن أهم بنود هذا العهد الجديد هي **الصفح عن خطايانا** وعدم ذكرها عند الله (ع ١٢) ثم أيضاً **القداسة التلقائية** المنسكبة فينا التي لا تحتاج إلى تشجيعات ولا إلى تأديبات خارجية كما كان في الناموس: «فلا يُعلِّمون كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلاً اعرف الرب لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم»[٢٧].

لذلك فالقديس كيرلس أيضاً بعد أن رأيناه في الأقوال السابقة يسترسل في شرح ليتورجية المسيح السمائية، سنراه أيضاً فيما يلي يوضح فاعليتها في حياة المؤمنين مبيِّناً أن أهم نتائجها غفران خطايانا ثم تقديس نفوسنا من الداخل بالروح القدس بل والدخول إلى شركة الطبيعة الإلهية الذي يدعوه أيضاً بالتبني لله:

[لم يكن في الناموس تبرير للإنسان. لم تكن مخالفة للوصية المعطاة إلاَّ وتقابلها عقوبة مُحقَّقة قد تصل إلى الموت، حتى صدق بولس لمَّا كتب: «مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة» (عب ١٠:٢٨).

---

(٢٧) قارن مع ١يو ٢:٢٠و٢٧: «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس ... ولا حاجة بكم إلى أن يعلِّمكم أحد ...».

وأمّا هذا فقد دُعي لنا كاهناً الآن لكـــي يعتقنـا مـن الحكـم والقطع واللعنة التي في الناموس. فهو لا يطالب بعقوبة الخطاة (مثل كهنة الناموس)، ولا يقدِّم للحكم الذين زلُّوا نتيجة الضعف البشري، بل يُظهرهم بالحري مبرَّرين بالإيمان ويعفيهم من العقوبة **ويجعلهم قديسين وشركاء طبيعته الخاصة وبذلك يربطهم أيضاً بواسطة نفسه بالله الآب** ... لاحظ إذاً أنه لم يَصِرْ كاهناً لأجل دينونة الخطاة بل بالحري لأجل شفائهم من خطاياهم وإلاَّ فما معنى كونه مجرباً (عب ٤:١٥) وكونه ذبيحة؟](٢٨)

فأهم نتائج كهنوت المسيح السماوي التي تبرز من هذا القول هي أولاً غفران خطايانا، ثم أن يجعلنا المسيح "قديسين وشركاء طبيعته الخاصة وبذلك يربطنا بواسطة نفسه بالآب".

وتتكرر نفس هذه المعاني في تفسيره للآية القائلة: «ليظهر الآن أمام وجه الله من أجلنا» (عب ٩:٢٤) إذ يقول:

[فبأي معنى يظهر الآن أمام وجه الله من أجلنا؟ ألم يكن دائماً ظاهراً أمام الله من قبل تأنسه؟ من البيِّن أنه كان كذلك، فهو حكمة الله الخالقة التي بها خرجت جميع الأشياء من العدم إلى الوجود والتي كانت «كل يوم لذته فرحة دائماً قدام الله» (أم ٨:٣٠). وأمَّا الآن (فالجديد في الأمر) أنه يظهر أمام الله ليس بعد بصفته اللوغس المجرد وغير المتجسِّد كما كان منذ البدء بل

---

(٢٨) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ٢:١٧، PG 74:969

في شكلنا نحن وفي طبيعتنا نحن، فإننا لذلك نقول إنه يظهر الآن **من أجلنا في** حضرة الله الآب ليقدم طبيعتنا نحن، تلك التي قد صارت بالحق مطروحة من أمام الله بسبب مخالفة آدم. **فنحن إذاً الذين يُحضرنا أمام عيني الآب** – في شخصه هو كبدء لنا بصفته قد صار إنساناً – **لكي يقربنا إلى الآب ويعتقنا من العلل القديمة ويغيِّر أعماقنا بالروح لتجديد الحياة حتى نُحسب مستحقين أيضاً لمعاينة الله الآب بصفتنا قد ارتقينا إلى طقس البنين.**] (٢٩)

قول ختامي:

وفي الختام يليق بنا أن نقدِّم تفسير القديس كيرلس للآية الأساسية من الرسالة إلى العبرانيين(٣٠)، وهي التي استقى منها تعبيره عن "الليتورجية السمائية"، وهي تقول:

+ «وأمَّا رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس عن يمين عرش العظمة في السموات خادماً (λειτουργός أي مقدِّماً الليتورجية) للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان ... وقد حصل على خدمة (ليتورجية λειτουργία) أفضل (من هارون) ...» (عب ٨: ١-٦)

---

(٢٩) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٤، PG 74:985

(٣٠) لا شك أن هذه الآية هي الأساسية في الرسالة إلى العبرانيين في نظر كاتب الرسالة نفسه، إذ بدأها بقوله: «وأمَّا رأس الكلام ...»، وقد سبقها بعدة مقدِّمات مثل هذه: «لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدم إلى الكمال غير واضعين أيضاً أساس التوبة ...» (عب ١:٦)

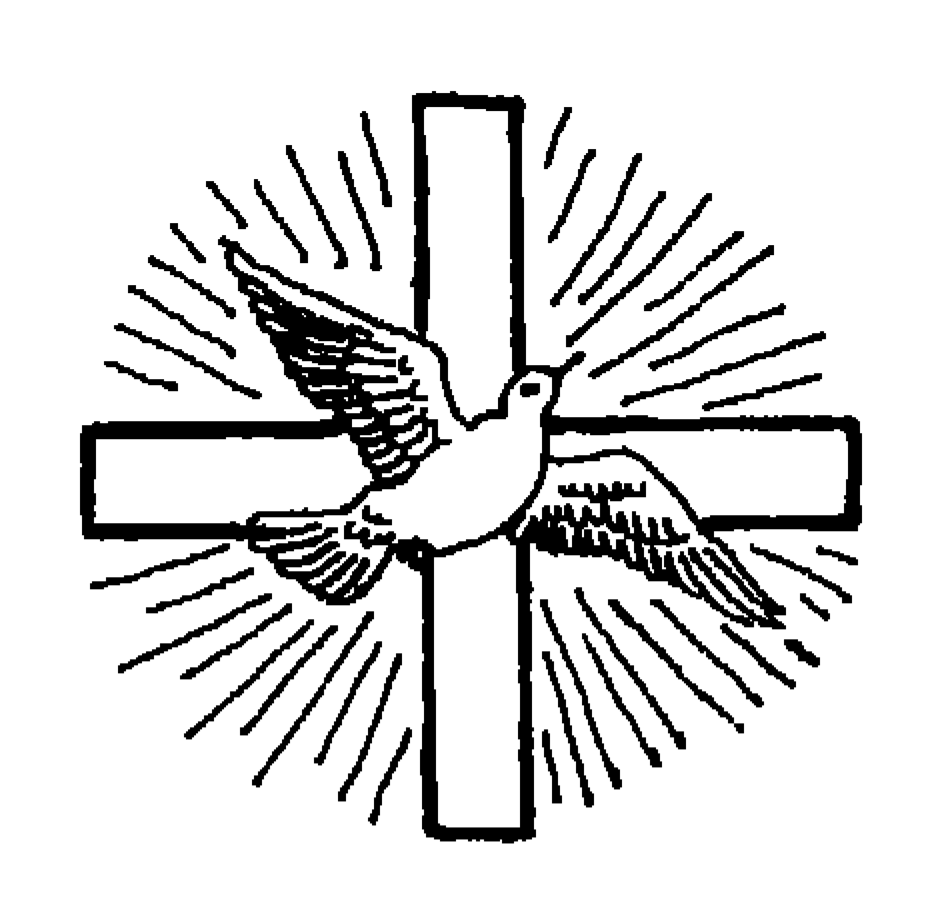
ففي تفسيره لهذه الآية يكشف القديس كيرلس "حقيقة هذه الليتورجية":

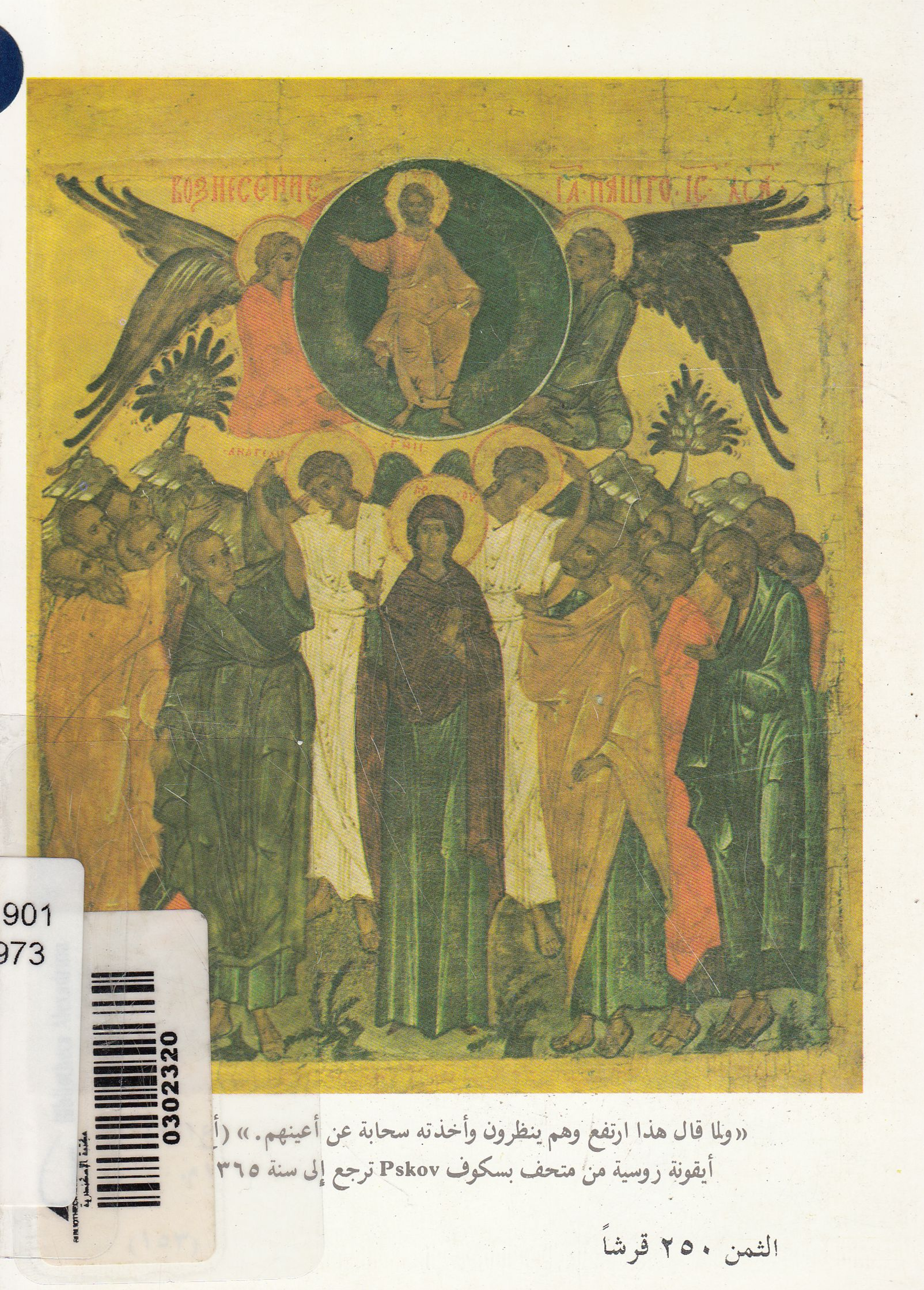
[إن الخيمة القديمة قد نُصبت في البرية بواسطة موسى وكانت مناسبة للذين يكهنون بحسب الناموس. وأمَّا المسكن الذي يناسب المسيح فهو المدينة البهية التي من فوق أي السماء عينها التي هي الخيمة الإلهية غير المصنوعة بمهارة بشرية ولكنها إلهية وفائقة. والآن إذ صار المسيح هناك **فهو يقدِّم لله أبيه المؤمنين به حتى يتقدَّسوا بالروح** كما قال «ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي» (يو ١٤: ٦). **وهذه هي في الواقع حقيقة خدمته الليتورجية المذكورة في هذا الموضع** (عب ٨: ٢) وهي خدمة لائقة حقاً بلاهوته، ولو أن الإشارة إليها جاءت بكلمات تناسبنا أي بشرية. فإن كان **المسيح يستطيع (بهذه الخدمة السمائية) أن يقدِّس المؤمنين به بروحه الخاص** فيتبررون بنعمته ورحمته ثم يقرِّبهم كذبائح لله بعد أن ماتوا عن العالم وعاشوا بالروح وتأججوا بالغيرة نحو الحياة الصالحة، فكيف لا تُحسب هذه الخدمة لائقة به كإله؟][31]

فمن هذا القول يظهر بوضوح أن "حقيقة خدمته الليتورجية المذكورة في هذا الموضع" هي أن «**يقدِّم لله أبيه المؤمنين به حتى يتقدَّسوا بالروح**». فهذه هي حقيقة الليتورجية السمائية التي يقدمها المسيح كل حين من أجلنا: أن يقدمنا باستمرار للآب في شخصه حتى ننال من الآب روح القداسة. وبهذا تظهر **ليتورجية المسيح كامتداد**

(٣١) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ٨: ٢، PG 74:977

أبدي لصعود الرب وليـــوم الخمســين، لأنه معروف أن الرب لمّا صعد أخذ لنا موعد الروح القدس من الآب: «وإذ ارتفع إلى يمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه» (أع ٢: ٣٣). ولذلك فهو الآن أيضاً بليتورجيته الأبدية في السماء «يقدِّم لله أبيه المؤمنين به حتى يتقدَّسوا بالروح»، أي يجعلنا باستمرار نحن أيضاً نتقدَّم في شخصه إلى الآب فنأخذ فيه الروح القدس من الآب، كامتداد أبدي لِمَا فعله من أجلنا مرة واحدة في الزمن بين صعوده ويوم الخمسين.





«ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم.» (أ
أيقونة روسية من متحف بسكوف Pskov ترجع إلى سنة ٣٦٥

الثمن ٢٥٠ قرشاً